بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

دعوة إلى ترك الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد:

فإن الدين لا يمكن أن يتعارض مع الحقائق العلمية. قاعدة أصبحت معلومة للجميع ولا يختلف عليها اثنان من علماء الدين.

فإذا ما جاء فى الإسلام استحباب إطالة الركوع والسجود فى الصلاة وخاصة فى النوافل التى يصليها الإنسان منفردا ... وجاء أحد أساتذة العيون بكلية طب جامعة القاهرة فقال إن إطالة الركوع والسجود تضر العين ضررا بليغا.. فأيهما نصدق: ما جاء عن رسول الله ﷺ أم ما جاء عن أستاذ العيون؟

إننا لا ننكر أن الركوع والسجود يضر العين المريضة.. ذلك أمر لا ننازع فيه، وإنما نقصد بحديثنا العين السليمة:

فى خلال شهر رمضان الماضى، شهر العبادة وقيام الليل طلع علينا أستاذ بطب العيون بمقال فى جريدة أخبار اليوم تحت عنوان (عيناك فى رمضان) تكلم فيه كلاما ليته خص به العين المريضة.. إنما أرسله عاما لكل العيون فكان دعوة صريحة إلى الإقلال من وقت الركوع والسجود وربما كان ذلك مرحلة تليها مرحلة أخرى ينهى فيها عن الصلاة بالمرة.

يقول الدكتور (إن فترة الركوع والسجود إذا طالت فإنها تؤدى إلى احتقان الأوعية الدموية داخل العين.. بل وتؤدى إلى تحرك العدسة البلورية

للعين مع القزحية إلى الأمام مما ينتج عنه ضحالة فى الخزانة المقدمة. وهذان العاملان: احتقان داخل العين وضحالة الخزانة الأمامية قد يؤديان إلى زيادة ضغط العين.. مما قد يضر ببعض الناس. كذلك فإن طول مدة السجود والركوع وتكراره يؤدى إلى سقوط الجسم الزجاجى إلى الأمام. ومن المعروف أن الجسم الزجاجى وهو مادة هلامية شفافة تملأ أربعة أخماس تجويف العين تلتصق بالشبكية فى عدة أماكن.. وإذا ما تحرك الجسم الزجاجى للأمام فقد يؤدى إلى مزع أو قطع الشبكية مما قد يؤدى إلى انفصال شبكى...)

إلى أن قال (وربما إذا عرف الناس هذه المعلومة فإنهم قد لا يطيلون فى سجودهم أو ركوعهم.. لمنع الضرر الذى يأمرنا به الدين)

وكما قلت من قبل إننا لا ننكر كل ذلك بالنسبة للعين المريضة. أما العين السليمة فلو كان طول الركوع والسجود يضرها لنهى رسول الله ﷺ عن الركوع والسجود طويلا.

والله عز وجل خلق عين الإنسان وركبها له داخل التجويف العظمى فى وجهه، فوقها عظام وتحتها عظام وعن يمينها وشمالها عظام ليكون ذلك حماية لها، وحرسها له بالرموش والحواجب والأجفان التى تغلق عند النوم وعند الخطر لا إراديا، وجعل له غددا بجوار عينه تفرز الدموع لتغسلها بصفة دائمة مستمرة مع كل طرفة عين... الله الذى صنع كل هذا أليس بقادر على حماية أعين الركع السجود الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا.. أليس الله بقادر على حفظ هذه الأعين من الأخطار التى هدد بها طبيب العيون..؟! وعمليا: هل سمعنا من قبل عن أحد أقاربنا أو معارفنا مرضت عيناه بسبب الركوع والسجود؟

ومن الأمور المخزية التى تدعو للأسف أن هذا الطبيب حين تحدث فى مقاله هذا عن قطرة العين وحكمها بالنسبة للصائم فقال إنها لا تفسد الصيام

وعلل ذلك بأن القطرة لا تغنى ولا تسمن من جوع فهى لا تروى عطش الصائم أو تغذيه وتشبع جوعه.

وبصرف النظر عن كون القطرة مباحة للصائم أو ممنوعة عليه فإن السبب الذى علل به إباحة القطرة للصائم يفتح بابا واسعا للتلاعب بدين الله.. فسوف يقال كذلك للمرأة التى تتعاطى حبوب منع الحمل إنه لا مانع من بلعها فى نهار رمضان لأنها لا تروى عطشا ولا تغذى أو تشبع جوعا..! وسينطبق ذلك على أنواع كثيرة من الأدوية التى يمكن أن تعم الفتوى بإمكان بلعها عن طريق الفم فى نهار رمضان بحجة أنها لا تروى عطشا ولا تشبع جوعا.

ويفترى الطبيب صاحب الفتاوى العصرية على أحد الأئمة الأربعة الأعلام فيقول (وربما قد سمعنا عن أحد الأئمة الأربعة وكان متشددا فى فتاويه.. ولما كبر به العمر واعتلت صحته ولم يعد قادرا على تنفيذ بعض فتاويه ندم على شدته فى شبابه وقال لو كنت أعلم ماذا تفعله السن بالصحة.. ما تماديت فى شدتى عندما أستشار فى أمر من أمور الدين) ولم يذكر لنا الطبيب من هو هذا الإمام ولا من أى كتاب استقى منه هذه المعلومات.

وبعد:

فقد كان غريبا أن نقرأ مثل ذلك المقال فى شهر رمضان الماضى:

- الطعن فى واحد من الأئمة الأعلام بأنه كان ساذجا لا يعلم ما تفعله السن عندما تتقدم بصاحبها- الأمر الذى يعلمه عوام المسلمين وغيرهم.

- الإفتاء بأن ما لا يروى عطشا ولا يشبع جوعا لا يفسد الصيام.

- دعوة المسلمين إلى ترك الإطالة فى الركوع والسجود فى صلاتهم كمرحلة أولى ربما أعقبتها دعوتهم إلى ترك الصلاة حفاظا على العمود الفقرى أو الجهاز الهضمى مثلا.

اللهم وفقنا لكى نكون من الراكعين الساجدين الخاشعين فى صلاتهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

رئيس التحرير

بـابـ السُّنّة

يقدمه فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم
الرئيس العام للجماعة

وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

تعريف بالراوى

هو عبادة بن الصامت بن قيس - وينتهى نسبه إلى الخزرج، فهو أنصارى خزرجى، ممن شهد بدراً، أسلم يوم العقبة الأولى بمنى مع الأولين، وفى العقبة الثانية قبيل الهجرة جعله النبى ﷺ أحد النقباء، ولما هاجر النبى ﷺ آخى بينه وبين أبى مرثد، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، كما شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص. وفى الصحيحين قال عبادة عن نفسه (أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة) وكان أسعد بن زرارة الذى جعله الرسول إماما للجمعة فيما بعد، ومنهم البراء بن معرور، وأسيد بن حضير. وكانوا اثنى عشر نقيبا، وهو أول من ولى قضاء فلسطين بعد فتح الشام، كما ولاه أبو عبيدة بن الجراح إمرة حمص. ولعبادة قصص متعددة مع معاوية، وإنكاره عليه فى بعض الأمور. وهو ممن شَرُفَ بجمع القرآن فى عهد النبى ﷺ، وذكر البخارى فى تاريخه أن عمر بن الخطاب اختاره ومعاذا وأبا الدرداء ليعلموا الناس بالشام القرآن، ويفقهوهم فى الدين. وكان قويا فى الدين، وقويا فى القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أنكر على

معاوية أشياء كثيرة، فرجع معاوية عن بعضها وشكاه إلى عثمان بن عفان، وروى ابن سعد أنه كان جميلا جسيما ومات بالرملة عام ٣٤ من الهجرة، رضى الله عنه وأرضاه.

المعنى

يتساءل كثير من القراء عن الإمام الذى يؤم الناس، وفى الصلوات الجهرية لا يعطى فرصة للمأموم ليقرأ الفاتحة فما الحكم؟

وقد رأينا من المصلحة أن نتوسّع بعون الله فى الإجابة ليقف القراء على رأى كل مذهب من المذاهب الأربعة، وما جاء فى الصحيحين وغيرهما من وجوب قراءة الفاتحة للإمام والمأموم والمنفرد (من غير تعصب لمذهب، أو لرأى عالم، أو للآراء الجديدة فى الكتب الحديثة التى تعمل على إضعاف الأحاديث الصحيحة ليتفق مع رأى مؤلفها، أو تقوية الحديث الضعيف ليتمشى مع رأيه) وفى ذلك تشكيك الناس فى السنة الصحيحة وخاصة ماورد فى الصحيحين.

وقد رأينا نقل آراء المذاهب (من كتبهم) قبل ذكر الأحاديث الصحيحة.

١- فالأحناف (وهم أصحاب الرأى عند المحدثين): يجعلون المفروض فى الصلاة هو مطلق القراءة لا قراءة الفاتحة، واستندوا فى ذلك برأيهم على قوله تعالى (فاقرءوا ما تيسّر من القرآن) وهذا توجيه إلهى عام وليس فى الصلاة وحدها، وكذلك استندوا على حديث من قوله ﷺ الوارد فى الصحيحين (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن) وهذا فى حق كل مصلٍّ، أما المأموم فليس عليه قراءة الفاتحة فى الركعات كلها. (كما جاء فى المذهب) بل جعلوا قراءة المأموم خلف إمامه مكروهة سواء كانت فاتحة أو غيرها - ومنهم من قال بالكراهة التحريمية (كما نص عليه أقوال الحنفية فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة طبعة الأوقاف المصرية) وحجتهم فى ذلك حديث (من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة) وبتحقيق هذا الحديث فى سنده ومتنه،

اتضح أنه غير صحيح، لأنه إما مرسل منقطع أو ضعيف أو شاذ، وبذلك لا يصح أن يعارض به الأحاديث الصحيحة - وقد استقينا ذلك من كبار المحدثين القدامى ورجال الجرح والتعديل، وقال عنه المناوى فى كتابه فيض القدير: ضعفه الدار قطنى والبيهقى وغيرهما. وقال عنه ابن حجر: طرقه كلها مغلومة، وقال الذهبى كلها واهية. وهذا القول لا يعجب من أصر على التقليد، أو اتبع عالما بذاته دون أن يدخل فى قضية التخريج والتحقيق، فيأخذ ما قاله قضيّة مسلّمة.

٢- أما الشافعية فيوجبون قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد فى جميع الركعات سرية كانت أو جهرية، وهذا ما يتفق والسنة الصحيحة. التى سنوردها إن شاء الله تعالى، بعد سرد أقوال المذاهب.

٣- أما الحنابلة فقالوا: إن القراءة خلف الإمام مستحبة فى الصلاة السرية وفى سكتات الإمام فى الصلاة الجهرية.

٤- وأما المالكية: فأجازوا القراءة خلف الإمام فى الصلاة السرية، وكرهوا القراءة فى الجهرية إلا إذا قصد مراعاة الخلاف فيندب له القراءة.

هذا ما ورد عن المذاهب والله تعالى يقول (لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) فيجب الرجوع إلى السنة الصحيحة التى نوضح مضمونها فيما يلى:

١- عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) رواه الجماعة. وفى لفظ (لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) رواه الدارقطنى وقال إسناده صحيح.

ويقول صاحب نيل الأوطار: (ولأحمد بلفظ لا تقبل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن) إلى أن قال: وهذا الحديث يدل على تعيين فاتحة الكتاب فى الصلاة وأنه لا يجزئ غيرها) وإليه ذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

٢- وعن عائشة رضى الله عنها قالت (سمعت رسول الله ﷺ يقول: من

صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج) رواه أحمد وابن ماجة بسند صحيح.

٣- وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ أمره أن يخرج (أى فى طرقات المدينة) فينادى: لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب. فمازاد) رواه أبو داود وأحمد. ويقول صاحب نيل الأوطار يشهد لصحة هذا الحديث ما عند مسلم وأبى داود وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).

٤- وأخرج البخارى فى جزء القراءة والترمذى وابن حبان وغيرهما من رواية مكحول عن محمود الربيع عن عبادة (أن النبى ﷺ، ثقلت عليه القراءة فى الفجر فلما فرغ قال: لعلكم تقرءون خلف إمامكم؟ قلنا نعم. قال فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها) حققه ابن حجر فى كتابه (فتح البارى صفحة ٢٤٢ الجزء الثانى) - كما قال ابن حجر فى نفس الصفحة: إذا تقرر ذلك لا ينقضى عجبى ممن يتعمد ترك قراءة الفاتحة منهم.

٥- وله شاهد من حديث أبى قتادة عند أبى داود والنسائى، ومن حديث أنس عند ابن حبان، وروى عبد الرازق عن سعيد بن جبير قال (لابد من أم القرآن).

وروى البخارى فى كتابه (القراءة خلف الإمام) عن أبى هريرة قال (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج غير تمام) فقلت لأبى هريرة (وهو العلاء) إنى أكون أحيانا وراء الإمام. فقال: (اقرأ بها فى نفسك يا فارسى)

ومن هذا الحديث أخذ بعض العلماء أن المأموم يتبع الإمام فى كل آية من الفاتحة. فإذا قال الإمام الحمد لله رب العالمين قال المأموم الحمد لله رب العالمين، وإذا قال الإمام الرحمن الرحيم قال المأموم: الرحمن الرحيم وهكذا - وهذا تأويل خاطئ لأن المطلوب من المأموم أن يقرأ الفاتحة فى

سكتة الإمام، حتى لا ينازع قراءة الإمام. ولذا يحسن بالإمام أن يسكت بين الفاتحة وقراءة السورة، وماذا عليه لو فعل ذلك ليمكن المأموم من قراءة الفاتحة، وللخروج من الخلاف؟ وقد ورد أن النبى ﷺ سكت سكتتين وورد أنه سكت ثلاث سكتات: المؤكد منها سكتة قبل الفاتحة لقراءة الإستفتاح والسكتة الأخيرة قبل الركوع ليستريح من القراءة الطويلة ويأخذ أنفاسه. ومن قال بالسكتة الوسطى فمن أجل أن يأتى المأموم بالفاتحة - وقال ابن حجر شارح البخارى فى صفحة ٢٣٠ الجزء الثانى من كتابه فتح البارى: والمعروف أن المأموم يقرؤها إذا سكت الإمام بين الفاتحة والسورة. والسكتة التى بين الفاتحة والسورة ثبت فيها حديث سمرة عند أبى داود وغيره.

ما يستفاد من الأحاديث

١- وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة على كل مصلٍّ سواء كان إماما أو مأموما أو منفردًا، فى الصلاة السرية والجهرية، سواء سمع قراءة الإمام أو لم يسمعها.

٢- مداومة رسول الله ﷺ على قراءتها فى كل ركعة طول حياته مع قوله (صلوا كما رأيتمونى أصلى).

٣- مما يدل على وجوب قراءتها قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم) وقد بيّن الرسول ﷺ بقوله (لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن)

٤- قوله تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) هذا عام فى الصلاة وغيرها، ويستثنى منه قراءة المأموم للفاتحة خلف الإمام، بدليل أن الرسول ﷺ أمر الداخل إلى المسجد حين الخطبة، أمره بصلاة ركعتين والإمام يخطب. والتأسى بفعل رسول الله ﷺ واجب.

٥- حديث أبى هريرة (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج. ثلاثا.) فقيل لأبى هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: اقرأ فى نفسك) رواه مسلم.

٦- وعن يزيد بن شريك أنه قال لعمر بن الخطاب: أقرأ خلف الإمام؟ قال عمر: نعم. قال وإن قرأت يا أمير المؤمنين؟ قال نعم وإن قرأت) رواه عبد الرازق عن سفيان الثورى.

٧- وعن طريق وكيع بسند صحيح عن محمود بن الربيع قال: صليت صلاة وإلى جنبى عبادة بن الصامت، فقرأ فاتحة الكتاب، فلما انصرف قلت: أبا الوليد (كنية عبادة بن الصامت) ألم أسمعك قرأت فاتحة الكتاب؟ قال: أجل إنه لا صلاة إلا بها.

٨- وروى عبد الرازق بسنده عن ابن عباس قال: اقرأ خلف الإمام فاتحة الكتاب.

٩- وعن حماد بن سلمة بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: للإمام سكتتان، فاغتنموا القراءة فيها بفاتحة الكتاب. إذا دخل فى الصلاة فكبّر، وحين يقول ولا الضالين.

والروايات كثيرة جدا ومن أراد تفصيلا أكثر فعليه بفتح البارى شرح صحيح البخارى فى أبواب قراءة المأموم خلف الإمام، وعليه بالإطلاع على نيل الأوطار - الجزء الثانى فى باب وجوب قراءة الفاتحة، وعليه بالإطلاع على ما حرره ابن حزم فى الجزء الثالث فى الصفحات من ٢٣٦ إلى صفحة ٢٥٠ من كتابه (المحلى)

وآمل ممن يعترض على ما ذكرت أن يطلع بنفسه على المراجع التى سبق بيانها ومواضعها ولا يحتج بأن فلانا قال كذا، وفلانا قال كذا - فأمام الأدلة الصحيحة يجب الإتباع، وهدم التعصب لإمام أو شيخ بعد أن حصحص الحق ووضح السبيل

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

محمد على عبد الرحيم

بـــاب الفتـــاوى

يجيب على هذه الاستفتاءات
فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

س: يسأل ماهر محمد الجوهرى من طحانوب مركز شبين القناطر: هل إذا تجاوزت الوقف اللازم حين قراءة القرآن أكون مخطئا؟

جـ: الوقف اللازم مثل الوقف على كلمة "يسمعون" فى قوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون، والموتى يبعثهم الله) فيلزم الوقوف على كلمة "يسمعون" لانتهاء المعنى، وإذا لم نقف اختلّ المعنى بالعطف بالواو - ولذا يأثم القارئ إن كان عالما بالحكم لاعتباره وقفا قبيحا يخل بالمعنى،والله أعلم.

س: يسأل عبد الحافظ زين العابدين من السباعية غرب بإدفو عن الصواب فى قوله تعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - الآية من سورة النمل).

جـ: مما خص الله به سليمان عليه السلام من النعم، استجابته لدعائه (رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين فى الأصفاد) وعلمه منطق الطير، وحديث النمل، إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات. ولما غاب الهدهد، وتوعده سليمان بالعقاب ما لم يأت بحجة واضحة تبين عذره. (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به) الآيات من آية ٢٢ إلى ٤٠ من سورة النمل، وتفسير ذلك لا تتسع له

صفحات المجلة. فليرجع القارئ إلى السورة بالمصحف. وحسبنا أن نجمل ما سأل عنه السائل - قال سليمان: من يأتيني بسرير بلقيس المرصع بالجواهر قبل أن تصل إليّ مع قومها مسلمين؟ قال أحد الجن شديد قوى أنا أحضره لك قبل أن تقوم من مجلسك هذا، وإنى عليه لقوى أمين فقال سليمان أريد أسرع. قال الذى عنده علم من الكتاب، وأغلب المفسرين ذكروا اسمه (آصف بن برخيا) وكان من الصديقين يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دُعِىَ به أجاب. وهو الذى أتى بعرش بلقيس فى لمح البصر فلما رآه سليمان مستقرا عنده، قال (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر)

وإذا كان القرآن قد سكت عن اسم الذى عنده علم من الكتاب، فيلزمنا السكوت، وأن نستفيد من القصة عبرة، من ذلك ما يلى:-

١- استجابة الله تعالى لدعاء سليمان فمكنه من كل شىء طلبه، وأعطاه ملكا لم يعطه لأحد بعده.

٢- تسخيره للجن، وطاعتهم له (والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين فى الأصفاد.) ثم قال الله تعالى له (هذا عطاؤنا فامْنُن أو أمسك بغير حساب) يعنى (لك أن تعطى أو تمنع من تشاء).

٣- ومن المعجزات الباهرة التى أيّد الله بها سليمان أن جعل الذى عنده علم من الكتاب قادرا على إحضار العرش فى زمن ما كان يتصوره سليمان.

٤- اعتراف سليمان بنعم الله عليه. واعتبر هذه النعم ابتلاء من الله تعالى حيث قال سليمان: (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم) - وهذا هو الذى يجب أن نستخلصه من القصة، من شكر الله المنعم على نعمائه، لأن الشكر يستزيد من نعم الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) - ومن لم يشكر الله وجحد فضله فإن الله مستغنٍ عن شكره، ومعنى غنى كريم، أى كريم بالإنعام على من كفر نعمته. والقصة للتذكر والاعتبار، بعظيم

قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه، وإكرامه لنبيه، الذى اعتبر ما أنعم الله عليه: اختبارا وابتلاءً فنجح فى هذا الابتلاء، فشكر الله تعالى. والله أعلم.

س: كما يسأل سائل من السباعية غرب فيقول إنه سمع أحد العلماء الرسميين (من الأزهر) يقول فى دروسه إن قبور الأولياء يجب زيارتها ولو فى العمر مرة للتبرك بها، والصلاة فى مقصورتها، ولك أن تشد الرحال لزيارتها. ويسأل عن صحة ذلك.

جـ: إن صح قول السائل فهذا العالم يدعو إلى الشرك بالله. ولم يقل أحد من أهل العلم بمثل قوله. وكيف يوجب على السامعين زيارة قبر أحد الصالحين؟ وينزّل ذلك منزلة الحج بقوله ولو مرة فى العمر؟ وكيف يحث على الصلاة فى المقصورة والنبى ﷺ حرم الصلاة إلى قبر، بل جعل المساجد ذات القبور عملا نصرانيا أو يهوديا بنصّ الأحاديث التى تنهى عن اتخاذ القبور مساجد.

آمل من هذا العالم ألاّ يصدّ الناس عن الحق، وألا يستجيب لداعى الشيطان الذى هو أعدى أعداء التوحيد إذ قال لربه (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) إلى قوله تعالى (ولا تجد أكثرهم شاكرين) آية ١٧ من الأعراف. وفقنا الله إلى الحق والصواب.

☆ جاءتنا عدة رسائل من قراء أنار الله قلوبهم بالإيمان، وأرفقوا برسائلهم صورة بطاقة مثل البطاقة الشخصية التى يصرفها السجل المدنى، وتَقْليداً للبطاقة الشخصية الرسمية، أنشأوا بطاقة لرسول الله ﷺ، وسموها البطاقة المحمدية، وضمنوها بيانات لا تليق بمقام رسول الله ﷺ السامى - ونحن نضم صوتنا إلى القراء الكرام فى استنكار هذا العمل المشين، ويجب على هؤلاء الذين يوزعونها أن يفهموا أن عملهم هذا يسىء لرسول الله ﷺ ويؤذيه، فالبطاقة الشخصية التى يحملها الأفراد القصد منها التعريف بحاملها. وهل رسول الله ﷺ مجهول حتى يصدر هؤلاء بطاقة للتعريف برسول الله ﷺ؟ يجب على من تقع فى يده مثل هذه البطاقة أن يتجاهلها. وإن عمل على نشرها فهو آثم آثم. مثلها فى ذلك مثل النشرة

التى يوزعها الجهلاء باسم رجل مجهول يدعون أنه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية - فهذه النشرة أيضا يحرم توزيعها لأن قبر الرسول ﷺ ليس له خادم، وادعاؤهم أن الخادم يتلقى أوامر من رسول الله ﷺ نوع من الدجل الذى يصطدم بالدين.

س: ويسأل القارى صلاح ريان عن هؤلاء الثلاثة:- ذو الكفل - ذو النون - مريم المجدولية.

جـ: أما ذو الكفل فقد ورد اسمه فى الآية ٨٥ من سورة الأنبياء. ويقول ابن كثير إنه اختلف فى نبوته: فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبى، قال تعالى: (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين) وقال آخرون إنما كان رجلا صالحا، وكان ملكا عادلا. ولكن ابن جرير توقف فى ذلك. وقيل إنه رجل صالح غير نبى تكفّل لبنى قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمهم له، ويقضى بينهم بالعدل. ففعل ذلك فسُمى ذا الكفل وأما النسفى فيذكر أنه يوشع بن نون ومعنى الكفل الحظ. فكأنه يقول ذو الحظ من الله - والأقوال كثيرة والله أعلم.

أما ذو النون فهو يونس بن متى عليه السلام - ذكر فى القرآن أكثر من مرة، ذكر فى سورة الأنبياء فى الآية ٨٧، ٨٨، وفى الثانية منهما قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) (ومعنى النون الحوت) - كما ذكر بتفصيل أكثر فى سورة الصافات من آية ١٣٩ إلى ١٤٨ - وفيها التقام الحوت له. فلولا أنه كان من المسبّحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون - وذلك أنه نادى فى الظلمات (أى بطن الحوت) أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. فأنجاه الله من هذا الكرب العظيم - والله أعلم.

وأما مريم المجدولية فكانت فى عهد عيسى بن مريم عليه السلام - والتعريف عنها فى كثير من الكتب غير صحيح. ونكتفى بأنها كانت امرأة صالحة. والله أعلم

س: يسأل خالد عبد الجبار عاشور من ساقلته بسوهاج عن أصل التصوف وهل هو من الإسلام؟

جـ: الإسلام الذى بعث به الرسل جميعا لا يعرف كلمة التصوف. وكلمة (التصوف الإسلامى) اختراع الصوفية. فهذه التسمية بعيدة عن عقيدة الإسلام الصحيح، لأن التصوف عقيدة قديمة نشأت قبل الإسلام، من فلاسفة الهند والفارسية والبوذية، والأصل فيها الزهد ومجاهدة النفس.

وفى القرن الثانى الهجرى، امتزجت أفكار الزهاد من المسلمين، وتحوّل الزهد إلى مزيج من عقائد المتفلسفة. وبدأ التصوف يظهر بمنهاج لا يقبله الإسلام، وفى نظر مُعْتنقيه أن كل من فى الوجود شىء واحد، وبذلك يصبح العبد ربا، والرب عبدا، والصورة الظاهرة لذلك تعذيب النفس، وترديد أذكار معينة.

فكلمة التصوف لم تكن معروفة فى عهد الصحابة - وبالفتوحات الإسلامية حصل اختلاط بين زهاد المسلمين، وأخذوا عن زهاد المجوس والمسيحيين وذلك فى أوائل القرن الثانى - وكان المسلم يسمى مسلما أو مؤمنا. ثم جدت أسماء مثل إسم زاهد وعابد، ثم صوفى وغير صوفى - فنظام التصوف مستورد من غير المسلمين.

ولو تتبعنا تاريخ التصوف، لأدركنا أن الذين حملوا التصوف فى أول غزوة للإسلام لم يكونوا من العرب، بل من الأعاجم وخاصة الفرس، وأشهرهم: إبراهيم بن أدهم المتوفى عام ١٦١هـ ومعروف الكرخى المتوفى عام ٢٠٠ هـ، وبشر الحافى الخراسانى المتوفى ٢٢٧هـ وحاتم بن علوان من كبار مشايخ خراسان المتوفى عام ٢٣٧ وأبو تراب النخشبى من مشايخ خراسان المتوفى عام ٢٤٥، وسرى بن المفلس فارسى - وهو خال الجنيد وتوفى عام ٣٥١هـ - وأبو يزيد البسطامى وهو فارسى الأصل وهو من أكبر أئمة الصوفية وتوفى عام ٢٦١هـ - والجنيد سيد طائفة الصوفية، ومن أكبر أئمتهم وتوفى عام ٢٩٧ وهو فارسى أيضا -

والحلاج الفارسى، ويقول بالحلول. وذلك بأن الله حلّ فى كل شىء حتّى فى الجبة التى يلبسها، وقُتل لضلاله وزيغه وإفساده لعقيدة التوحيد، وصُلِبَ على جسر بغداد عام ٣٠٩هـ وكلهم من فارس (إيران).

ومن مبادئهم أن الزواج يشغلهم عن العبادة، ويعتبرونه من ملذات الدنيا، فيقول رائدهم إبراهيم بن أدهم (من تعوّد أفخاذ النساء لا يفلح) وهذا منهج يعارض الإسلام. والصوفية ألبسوا على الناس دينهم، فاعتبروا السماع إلى الغناء من العبادات، ويزعمون أن السماع للغناء يزيد شوقا ولوعة. ويشجعهم الغزالى فى كتابه الإحياء جزء ٢ صفحة ٢٦٢ حيث يقول (فاعلم أن الغناء أشد تهيجا للوجد من القرآن). فتأمل هذا الباطل.

والصوفية يرقصون فى أذكارهم على نغمات خاصة من دفوف أو منشدين، ويدعون أن قلوبهم صافية - وإذا دُعوا إلى وليمة التهموها التهاما، واكتسحوا لحمها اكتساحا - كما أنهم يعبدون الله على غير ما شرع الله من أذكار وشطحات فهم خالفوا دين الله فاتخذوا قبور مشايخهم مساجد، وأقاموا لها الموالد، وشوهوا معالم الدين. وللأسف نجد من القادة وبعض العلماء، وعلية القوم من يشجعهم. فحسبنا الله ونعم الوكيل. ومما يبعث على الأسى أن الصوفية طوائف لا حصر لها، وكل مريد لا يذكر الله إلا على طريقة شيخه كما علمه ورسم له الطريق والله أعلم.

☆: التبس على قارئ من السعودية ص ب ٦١٦٥ بالرياض، فظن أنى أفتيت بأن إعفاء اللحية ليس واجبا ولا سنة - ألا إنى أُشهد الله أنها واجبة وإن سبق فى الإجابة كلمة سنة (فقد قلت إنها من سنن المرسلين) أى من طريقة الرسل الكرام - فلزم التصحيح - وإذا قلت من سنن المرسلين، فذلك يشمل الدين كله من فرائض وواجبات وسنن والله المستعان.

س: يسأل عبد المنجى شعيب من نزلة ضاهر بديروط عن الصلاة الفائتة ويستند إلى أقوال بعض العلماء فى أداء الصلاة بعد فوات وقتها وإن تعددت.

جـ: من الكتاب والسنة لا يجوز أداء (قضاء) الفائتة إلا للنائم أو الناسى. وللمسافر أن يجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير، وبغير العذر الشرعى الذى ذكرناه آنفا - فالويل لمن ترك الصلاة ولو كانت فرضا واحدا مشغولا بعمله كتجارة أو زراعة - والآية الكريمة تؤكد أنه حتى إذا صلاها فله العذاب. قال جل شأنه (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وقد بيّن رسول الله ﷺ (هم الذين أخروا الصلاة عن وقتها بغير عذر شرعى) - وذلك لأن من ترك صلاة واحدة عمدا فقد تصدّع دينه، والتصدّع يحتاج إلى إصلاح وترميم، وذلك لا يكون إلا بالتوبة النصوح - ومن المؤسف أن تأخير الصلاة عن وقتها عمدا صار عادة عند أكثر الناس، محتجين بأشغالهم. فالله تعالى عندما فرض الصلاة فرضها لوقتها (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أى كتبها لوقتها، ولا يقبلها إلا فى وقتها إلا من عذر كما أسلفنا. والله أعلم.

ونوجه هذا القول إلى كل من عاطف عبده من قرية نزلة القنطرة البدارى - وإبراهيم محروس من المنيا، وعبد العال إسماعيل إبراهيم من طنطا، وكلهم طلبة ويلتمسون لأنفسهم العذر فى الجمع بين الصلوات الظهر والعصر والمغرب فى وقت المغرب. فهذا يجلب لهم الويل يوم القيامة. وخاصة أن الأحاديث كثيرة فى المحافظة على الأوقات فليرجعوا إليها.

س: ومن كسلا بالسودان يسأل أبو بكر إمام: هل يجوز تشغيل أشرطة القرآن لبعض القراء فى المسجد قبل دخول وقت الصلاة؟

جـ: إن كان القارئ مرتلا لا مطربا، فيجوز ذلك إن أريد أن نتعلم منه القراءة المرتلة الصحيحة، أما إن كانت القراءة للمقرئين المطربين فلا يجوز احتراما لكتاب الله، ولبيت الله تعالى.

س: يسأل عثمان عبد القادر - بضرائب الشركات بالإسكندرية:- رضع ابن خالى من أمى فهل يجوز لى الزواج من أخته؟

جـ: ابن خالك الذى رضع من أمك يحرم عليه أن يتزوج أختا من أخواتك لأنهن-إخوته من الرضاعة - أما أخت ابن خالك التى لم ترضع من أمك فتحل لك لعدم وجود المانع الشرعى ولم تكن أختك من الرضاعة - والرضاعة المحرمة هى خمس رضعات مشبعات على الأرجح والله أعلم.

- وللسائل محمود وصفى من العجمى نقول: لا زكاة فى الراتب الذى تقبضه شهريا - ما لم يتواجد عندك النصاب وحال عليه الحول ولست فى حاجة إليه - ومقدار النصاب حاليا فى مصر نحو ٢٥٠٠ جنيه مصرى والله أعلم.

س: وتسأل إحدى القارئات: هل يلزم قراءة الإستفتاح بعد القيام من السجود فى كل ركعة؟

جـ: قراءة الإستفتاح مرة واحدة فى الصلاة ومحله بعد تكبيرة الإحرام فى الركعة الأولى فقط.

س: ويسأل أسعد مشوادى من الأحايوة بسوهاج: هل يوجد تناقض بين آية الأحقاف (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وبين آية لقمان (وفصاله فى عامين)

جـ: لا ينقض القرآن بعضه بعضا ومن اعتقد ذلك فقد كفر بكتاب الله والعياذ بالله، ومعنى آية الأحقاف (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى أن مدة حمله فى بطن أمه مع مدة الفصال وهو الرضاعة ثلاثون شهراً - أما آية لقمان فبينت مدة الرضاعة وهى عامان.

س: رسالة من قارئ شاب بلغ من العمر ١٩ عاما يحكى قصة مؤلمة فقد غلب عليه اليأس ففكر فى الانتحار - واختصارا لرسالته نقول:-

إنه إذا أوى إلى فراشه واستيقظ ليلا أو نهارا وجد ملابسه مبللة

بالبول، ويقول إن فراشه يتبلل أيضا بصورة فظيعة - وهو طالب فى إحدى الكليات ويذهب بنجاسته وبلا صلاة، كما أنه يستحى أن يزور أقاربه وأصدقاءه ورائحة البول تفوح من ثيابه، إذ ليس لديه من الملابس الإحتياطية ما يقضى على شكواه. ويسأل:

١- كيف يصلى وحالته كما ذكرنا ٢- وهل يصح صيامه بهذه النجاسة

جـ : أولا نسأل الله لك العافية - وعليك أن تُعالج نفسك عند أخصائى للمسالك البولية - كما ينبغى أن تقلل من شرب السوائل من بعد الظهر حتى يقل إفراز البول - أما من الناحية الشرعية فيجب إزالة النجاسة من البدن والثياب - وإن اشتد عليك البرد ولم تجد وسائل تدفئة الماء فعليك بالتيمم. والحذر كل الحذر من ترك الصلاة لهذا العذر، فالله تعالى كما جعل الصلاة من أركان الدين، يسّر للمعذور بأن يصلى بالتيمم دون غسل أو وضوء فى أيام البرد الشديد - وعليك أن تعد ملابس خاصة للصلاة بالمنزل. أما فى الكلية فيجب الحرص على الصلاة فى وقتها بالعذر الذى ذكرت، لأن الصلاة بعد الوقت حسابها عسير - أما الصوم فيجوز بلا إزالة النجاسة وهو صحيح. والحذر من أن تضيع الصلاة اعتماداً على هذا العذر، فقد يسر الله لك الأمر. ونسأله جل شأنه أن يمنحك العافية وإياك أن تهمل فى المعالجة المشروعة. والله الميسر.

س: يسأل القارئ محمد رجب أغا بالسيوف بأرض صالح عيد بالإسكندرية فيقول: إذا نزل المطر بالاسكندرية يقول بعض الناس: هذه نوّة كذا ...

جـ: ورد فى ذلك حديث صحيح رواه البخارى ومسلم عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (مطر) كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس. فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر. فأما من قال مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب - وأما من قال مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافر

بى مؤمن بالكواكب - فعلى المؤمن أن ينسب الأفعال كلها إلى الله تعالى - والله أعلم.

س: وكتب إلينا ياسر محمد الجندى من إمبابة المنيرة من شارع زكى مطر يشكو من كتاب للقراءة المقرر على الصف الثانى لطلبة الثانوية الصناعية وفى صفحة ١٧، ١٨ درس يحث على كثرة الضحك - وفيه أن الضحك رياضة للرئتين، ويشفى كثيرا من الأمراض، وأن الابتسام يطيل العمر - ويتعجب السائل هل نصدق مؤلف الكتاب الذى يقول فى موضع آخر إن الضحك الصّاخب ضار بالمسالك الهوائية - ويستوضح السائل عن صحة الحديث (كثرة الضحك تميت القلب)

جـ: نحن نشارك السائل فى استنكاره الضحك بحجة أنه رياضة أو شفاء فهذا من التضليل الذى يراد به الدعاية للأفلام الصاخبة - وحديث كثرة الضحك تميت القلب ذكره صاحب كشف الخفاء برقم ١٩١٥ الجزء الثانى أن راويه أبو هريرة مرفوعا ورواه ابن عساكر فى آخر الحديث (اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة.

س: يسأل طارق إبراهيم شحاتة من شنبارى/أوسيم الجيزة (ما صحة حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له)

جـ: المشهور (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً) رواه الطبرانى وقال عنه السيوطى ضعيف - وقال فى فتح القدير: ضعفه النسائى - وقال الحافظ العراقى سنده لين. والأقوال فيه كثيرة وكلها تدل على ضعفه والله أعلم.

س: ويسأل إبراهيم مسعود من المحلة الكبرى عن صحة الحديث (من وُلد له مولود فسماه محمدا تبركا بى، كان هو ومولوده فى الجنة)

جـ: ذكره السيوطى فى مختصر الموضوعات. فالحديث موضوع.

س: يسأل أحمد عطية الملاح من سنفا ميت غمر - كيف تصلى المرأة الواحدة خلف الإمام؟

جـ: تقف خلفه مباشرة - كأنها صف واحد خلف إمامها وهذا يكون بين المحارم.

س: يسأل قارئ من كلية التجارة بالفرقة الثالثة بالزقازيق ما حكم الدين فى المسلم الذى يدرس المذاهب الفقهية، فيأخذ من كل مذهب ما يوافقه؟

جـ- الإسلام لا يعرف المذهبية - وكل إمام من الأئمة رحمهم الله تعالى لم يجعل نفسه إماما، ولم يقل للناس اتبعونى - ولكن تعصب التلاميذ لشيخهم هو الذى جعله إماما، وهى برىء من ذلك التعصب. والمسلم الذى يأخذ من كل مذهب ما يوافقه يعتبر ذلك تلفيقا وكأنه يعبد الله على حرف - والمسلم له أن يأخذ الدين من كتب السنة (الحديث) الصحيحة. فهى تصله برسول ﷺ وفيه ضمان وسلامة بالإتباع لأهل السنة والجماعة - أما قولهم اختلاف الأئمة رحمة للأمة (فكلام مكذوب) والاختلاف فى الدين يسبب العداوة كما نرى بين الجماعات الحديثة: كل يوالى جماعته ومن انتسب إليها - قال تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) - وقال (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وقد ذكرنا أضرار اختلاف الشباب والطرق فى أعداد سابقة - فعلينا أن نلتزم بالكتاب والسنة فالنجاة فيهما.

س: سؤال غريب من مصباح محمد بالاسكندرية يقول: بعد أن خطب خطيب الجمعة فى أحد المساجد خطبة بليغة: قال للناس إن الدرجة الرفيعة التى وعد بها نبيه ﷺ هى أنه سيهدى إليه العرش العظيم ويسألنا عن صحة ذلك.

جـ: العرش العظيم أكبر من السموات والأرض - فمن الكذب الفاضح أن يقول الخطيب أن الله تعالى سيهديه للنبى ﷺ- وعلى الخطيب أن يندم

على هذا الكذب. والآيات والأحاديث كثيرة فى الوعيد لمن كذب على الله ورسوله. والله أعلم.

س: يسأل جعفر محمود نصر من بنى سميع بأبى تيج: ما حكم صلاة التطوع بعد صلاة العصر؟

جـ: لك أن تصلى قبل فريضة العصر ما تشاء - أما بعد صلاة العصر فتكره النافلة - إلا لمن دخل المسجد بين العصر والمغرب فله أن يصلى ركعتين تحية المسجد.

س: جاءتنا رسائل كثيرة تسأل عن إطالة البنطلون أو السروال إلى ما تحت الكعبين. فما الحكم؟

جـ: يجب كشف الكعبين فى كل ما يلبس للحديث الشريف (ما دون الكعبين من الثياب ففى النار) والله أعلم.

س: يسأل أحمد على أبو بكر بنجع الشيخ ركاب بقنا: ما هى السنن المؤكدة؟ وهل بعد الأذان الشرعى نصلى على النبى ﷺ جهرا؟

جـ: السنن الراتبة المؤكدة هى: ١٢ ركعة: اثنتان قبل الصبح - وأربع قبل الظهر وركعتان بعده - وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وكلها اثنتا عشرة ركعة وورد فى الحديث أن من داوم عليها بنى الله له بيتا فى الجنة. أما الصلاة على النبى ﷺ بعد الأذان فمن السنة الإسرار فيها، والجهر بها بدعة لا تقبل والله أعلم.

س: يسأل فتحى عبد الوهاب سليمان من قرية الحرية - مركز أبى حماد شرقية يقول: إن الغزالى لم يحدد جهة لله عز وجل، بل كان يقول إن الله فى كل مكان، أما ابن تيمية فيحدد الجهة ويقول إن الله على العرش.

جـ: القرآن الكريم هو الحكم فى هذه القضية: فالغزالى نحا نحو الفلاسفة والصوفية، ونفى الجهة عن الله عز وجل - ولكن القرآن أثبت أن الله تعالى له صفة العلوّ على خلقه. فعرشه فوق السموات. والآيات تثبت ذلك، قال تعالى (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض؟) وهو الله تعالى -

وقال (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال ﷺ للمرأة المسبية (أينَ الله) فأشارت بيدها إلى السماء. فقال ﷺ: (دعوها فإنها مؤمنة) أى عرفت ربها. ونحن نشهد الله تعالى أنه عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه - وهذا بالنسبة لذاته عز وجل (الرحمن على العرش استوى). ولكن هو معكم أينما كنتم: بصفاته فهو مع خلقه بعلمه وسمعه وبصره - بدليل آية المجادلة (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم (أى بعلمه وسمعه وبصره) وانتهت الآية بصفة العلم حيث قال تعالى (إن الله بكل شىء عليم) وهذا هو التوحيد الخالص الذى جاء فى الكتاب والسنة، أما الصوفية ومن على شاكلتهم من الفلاسفة فكلامهم ينقض القرآن. والله أعلم.

س: من زيان الأمير من أصفون بإسنا يقول إن أحد الخطباء اتهم شيخ الإسلام ابن تيمية بتحريم زيارة قبر النبى ﷺ فهل ذلك صحيح.

جـ: هذا الخطيب يجب أن يتعلم السنة ليعطى الناس مادة علمية صحيحة، بدلا من أن يستقى معلوماته من الجهلاء - فالحقيقة أن ابن تيمية حرّم شدّ الرحالِ لغير المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوى الشريف، والمسجد الأقصى، كما جاء فى الحديث المشهور. فابن تيمية يريد من المسلم أن يفعل ما فعل ابن عمر عند زيارته لمسجد رسول الله ﷺ يبدأ بصلاة ركعتين تحية لمسجد رسول الله ﷺ، ثم يزور القبر الشريف ويقول السلام عليك يارسول الله، ثم يقول السلام عليك يا أبا بكر، ثم يقول السلام عليك يا عمر. هذه هى السنة أما اتهام ابن تيمية فهو باطل ولا يصدر إلا من أعداء التوحيد. والله أعلم.هذا ما يسر الله تعالى من الإجابات التى تفيد القراء - ونعتذر عن الإجابات المكررة أو الأسئلة المتعددة فى عدة صفحات لسائل واحد، أو التى كتبت بخط لا يُقرأ - وفقنا الله تعالى للعمل بالكتاب والسنة. وحشرنا يوم القيامة مع أهل السنة والجماعة وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد على عبد الرحيم

القرآن وشطحات الصوفية

بقلم: الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال

فى تفسير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لقوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الذى قدم له فى تسجيل تلفازى قبيل الإفطار يوم ١٥ رمضان الماضى ... حمّل فضيلته كلمة (أحدا) من قوله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) - حمّلها ما لا تحتمله حيث أضاف الجنة إلى الشركاء فى عبادة الله سبحانه فقال: «وحتى لو جعل العابد قصده من عبادته دخول جنة الله سبحانه كان بذلك من الذين أشركوا بعبادة ربهم غيره معه». وهذا كلام لم نسمعه ولم نره إلا فى كتب الغلاة والمتطرفين من الصوفية. وأصحاب المواجيد الفلسفية الوثنية. وفضيلته قد دلنا أيضا على مصدر كلامه هذا فأتى بكلام رابعة العدوية استشهادا على تفسيره هذا حيث تقول: «ما عبدته خوفا من ناره، ولا حبا فى جنته، وإنما من أجل مشاهدة وجهه الكريم». وأقول إن كل تفاسير أهل السنة لم يذهبوا أبدا هذا المذهب، وإنما غاية ما تزيد به بعضهم، أن جعلوا مراءاة الناس فى العبادة هى الإشراك بالله فى العبادة !! مع أن الآية فى السياق الذى جاءت فيه وهو أنها جاءت فى نهاية السورة (سورة الكهف) خاتمة للحديث عن الكافرين الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ثم عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين كانت لهم جنات الفردوس نزلا ... وأنه بناء على ذلك أن من أراد من الكافرين دخول الفردوس فليؤمن بالله وحده - وهذا ترغيب للكافرين ودعاء لهم من الله سبحانه، أن يتحولوا من الكفر إلى الإيمان - وأن يصل فى إيمانه إلى الثقة فى الله وإمكان البعث، والعودة إلى الله بعد الممات أى رجاء لقاء الله وتلقى الجزاء الحسن منه، وأن من وصل إلى هذا الإيقان، فليعمل

عملا صالحا خالصا لله متوجها به إليه قاطعا حبال الشرك وعبادة الأوثان التى كانت تصله بهم من قبل. وهذا يتضح لنا أكثر حينما نقرأ الآية من أولها يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه، فليعمل عملا صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فجاءت هذه الآية الكريمة بمثابة تلخيص الطريق إلى دخول الجنة، بعد عرض حال الأخسرين أعمالا، الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، وعرض حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات. هذا المعنى هو الذى يعطيه أسلوب القرآن الذى نزل بلسان عربى مبين. وفى تفسير تلك الآية يقول الإمام الشوكانى: «.... فمن كان يرجو لقاء ربه»: الرجاء توقع وصول الخير فى المستقبل. والمعنى من كان له هذا الرجاء الذى هو شأن المؤمنين (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) من خلقه سواء كان صالحا، أو طالحا، حيوانا أو جمادا، قال الماوردى: قال جميع أهل التأويل فى تفسير هذه الآية: إن المعنى لا يرائى بعمله أحدا. وأقول إن دخول الشرك الجلىّ الذى كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدم على دخول الشرك الخفى الذى هو الرياء، ولا مانع من دخول هذا الخفى تحتها، إنما المانع من كونه هو المراد (فقط) بهذه الآية [1].

فهذا أقصى ما وصل إليه تفسير بعض المجتهدين أن يكون الشرك الخفى وهو الرياء هو المراد بهذه الآية. ولم يقل أحد ممن يعتد بقولهم أن الجنة وعبادة الله من أجلها هى من الإشراك بالله الذى منعه فى هذه الآية وجعلها من عبادة الأوثان التى هى الشرك الجلى الواضح الذى جاء رسول الله ﷺ والأنبياء قبله ناهين عنه، ومبطلين له وداعين الناس إلى عبادة الله وحده والتحول عن هذا الشرك. فهذا قول كبير وتجرؤ على الله وعلى دينه بهذا القول. ونحن لا نأخذ ديننا عن الصوفية، ولا عن غيرهم، إنما ديننا مرده إلى الكتاب والسنة، كما قال ﷺ: (لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة رسوله).

---

(١) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير جـ٣ سورة الكهف

ولننظر إلى هؤلاء الصوفية، وكلامهم فى هذا المجال لنرى أهو إيمان أم كفر؟! نجد ابن سينا يؤسس لكلام رابعة المتقدم أو الكلام الذى زور باسم الشخصية الأسطورية (رابعة العدوية) التى هى فى أغلب الآراء شخصية منتحلة لم توجد قط، ونسأل الله أن لا توجد مستقبلا!.

يقول ابن سينا: «فالزهد عند غير العارف معاملة ما، كأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة، وعند العارف تنزه عما يشغل سره عن الحق، وتكبر على كل شىء غير الحق»، «والعبادة عند غير العارف معاملة ما كأنه يعمل فى الدنيا لأجره يأخذها فى الآخرة هى الأجر والثواب» وعند العارف رياضة ما، لهممه، وقوى نفسه المتوهمة والمتخيلة ليجرها بالتعويد عن جناب الغرور، إلى جناب الحق، فتصير مسالمة للسر الباطن حينما يستجلى الحق لا تنازعه»، «فيتخلص السر إلى الشروق الساطع ويصير ذلك ملكة مستقرة كلما شاء السر، اطلع إلى نور الحق» (١).

فالقصد من العبادة عند هؤلاء ليس التقرب إلى الله، وطلب مرضاته وإنما تطهير لنفوسهم، وتخفيف لها من أوزارها، حتى تستطيع أن تعرج إلى الله سبحانه فتشاهده، وتراه جهرة، أو ينكشف لها نوره ويشرق عليها، وهى على الأرض، فتراه جهرة أيضا فحينئذ تؤمن بوجوده وتؤمن به، وذلك على طريق الإشراقيين من الوثنيين المجوس. فهذه الطريقة التعبدية هى طريقة أهل الوثن من اليونان، والغنوصيين أهل المعرفة من المجوس قديما، لأنهم ما كانوا يرون أمامهم رسلا يرشدونهم إلى الله وإلى دينه، فكانوا فى اليونان قبل ميلاد عيسى عليه السلام، وكانوا فى الفرس المجوس، قبل بعثة محمد ﷺ، وكان الفريقان يسلكونها للوصول إلى معرفة الله والتأكد من وجوده ولكنهم ما كانوا يصلون إلا وهما وخيالا، أو بعد اضطراب فى العقل من هذه الممارسات التى كانت تقوم على التقشف الشديد، والحرمان والزهد فى متع الحياة وطيباتها، بل والضرورى من المأكل والمشرب، وقد تستولى عليهم

---

(١) الإشارات والتنبيهات لابن سينا قسمى ٣، ٤ صـ ٨٠٠ النمط التاسع.

الشياطين فتخيل لهم أنهم رأوا الله أو شاهدوه، فيأتون ويتكلمون عنه بما هو الكفر، ويصفون الله بما لا يليق به، وكثيرا ما يعد دونه فيجعلون مع الله آلهة أخرى. فجاء الإسلاميون بعدهم من الفلاسفة والصوفية، وقرأوا هذه الخرافات بعد عصر الترجمة فى الدولة العباسية - وكان الفريقان المذكوران، لم يتأسسا التأسيس الكامل فى الكتاب والسنة - فظنوا فى هذه الفلسفة طريقا للهداية وتهيأ لهم أنها فسرت لهم كثيرا من أمور العقيدة التى لم يكونوا قد تشربوها لعجمتهم فى اللغة العربية وفى تعلم الكتاب والسنة ولم يعرفوا أنها ضد ما جاء به الدين. وقد يكونون مدسوسين علينا من الفرس لخلخلة عقيدة المسلمين وتحريفها، حتى يسقط المسلمون أمام الفرس ويستعيد الفرس مجد آبائهم.

ومارس الفلاسفة المسلمون، وصوفيتهم هذه الطقوس، من أمثال ابن سينا وابن الفارض، وابن عربى، قاصدين بها الوصول إلى اليقين بعد الشرك ولكنهم ما وصلوا كما تقدم. ويمكن أن نجد هذا الأسلوب الذى تقدم للفلاسفة والصوفية عند أفلوطين المصرى ذلك الفيلسوف الذى عاش فى الإسكندرية، وفى مكتبة الإسكندرية، فى القرن الثالث الميلادى، والذى رحل إلى فارس فأخذ من هناك المعرفة الغنوصية الفارسية والهندية، ثم استقر فى إيطاليا ومات هناك وكان نصرانيا فارتد عن النصرانية، وصار ملحدا لا يؤمن بالله، ولا يؤمن بدين ثم جاء يطلب الإيمان عن طريق الفلسفة وهذا هو الطريق عنده.

إنه يعتبر أن أرقى لذة فى الدنيا هى مشاهدة الواحد والاتصال به، وأننا حينما نكف عن الإحاطة به يحل بنا الدمار الكلى، وننعدم من الوجود، وحينما ننظر صوبه فتلك غايتنا وراحتنا؛ فى هذه الحياة العاجلة نستطيع أن نراه، وأن نرى أنفسنا بقدر ما يمكن الحصول على مثل تلك الرؤية. نرى أنفسنا ساطعين نورا، مليئين نورا معقولا .. نصير إلها متقدا حبا. تلك حياة الآلهة والبشر الإلهيين السعداء، أعنى التحرر من أشياء هذه الدنيا، والضيق بها، والهرب وحدنا إليه وحده» ويدعى بصدد ذلك أنه صعد إلى الله أربع

مرات، وأنه كان صاحب اختيار فى ذلك بعد أن تخفف فى الدنيا وأثقالها [1].

فمن هذا الاتجاه فشا فى الأوساط الفلسفية والصوفية - لدى الإسلاميين ما يسمونه (حالة مشاهدة الذات العلية) وجعلوا ذلك هو الغاية فى العبادة وسلوك الطريق الصوفى؛ وأن هذا هو منتهى اللذة ...، وأدى هذا إلى تسام مفتعل، وترفع عما وعد الله به المتقين من نعيم، وعما أوعد به العاصين من عذاب، وادعاء بأنهم صاروا فى مستوى أرقى من أن يعملوا من أجل رغبة أو رهبة، وإنما هم قد صاروا فى طريق التجريد من الماديات وطريق السمو، وفى مستوى الملائكة، فأصبحوا لا يتأثرون بوعد ولا وعيد، وإنما يتأثرون بالغاية التى إليها يسعون وهى مشاهدة (وجهه الكريم).

فمن هذا ما نسب إلى من تسمى رابعة العدوية، أنها كانت تناجى الله سبحانه وتقول: «إلهى. إن كنت عبدتك من خوف النار فأحرقنى فى النار أو طمعا فى الجنة فحرمها علىَّ، وإن كنت لا أعبدك إلا من أجلك، فلا تحرمنى مشاهدة وجهك [2]»

هذه هى حقيقة هؤلاء وهى كما نرى اتجاه مادى، وانغماس فى الإلحاد والشك جعل أصحابه لا يؤمنون إلا بما يرونه ويحسونه، وطبقوا هذا على إيمانهم بالله سبحانه، وهو قديم قدم الكفر كما أخبر الله سبحانه عن جمع ممن دعاهم موسى عليه السلام فقالوا له: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) [3]: وهو اتجاه شاع عند كثير من صوفية اليونانيين وفلاسفتهم. فلا يجمل بنا أن نفسر الوحى المنزل من عند الله بخرافة هؤلاء الشاكين الملحدين.

كما أنه لكى يستقيم لعالم الدين علمه لا بد له من أن يدرس التصوف جيدا ويعرف ماهيته ومن أين جاء، بعد أن يكون قد تشبع بروح الكتاب والسنة، وفقه نصوصهما جيدا. والله الموفق.

إبراهيم هلال

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم الفقرة الخاصة بأفلوطين.
(٢) انظر: التصوف الإسلامى بين الدين والفلسفة لكاتب هذه السطور صـ ٦٨
(٣) سورة البقرة: ٥٥

سهرة مع ...

أعدها وقدمها: رجب خليل

"سهرة مع ..." برنامج إذاعى تذيعه إذاعة القرآن الكريم من القاهرة فى الحادية عشرة من مساء كل سبت. وهذه الحلقة أعدها وقدمها: رجب خليل. وكان اللقاء مع فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

- ٣ -

- فضيلة الشيخ - هناك من يقول: إن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

- بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله - الدين نفى أن تغزوه ما يسمى بدعة حسنة - والنبى سد الباب - قال - إياك ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وروى النسائى: وكل ضلالة فى النار. فالدين ختم بقوله تعالى [اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا] - فما لم يكن دينا على عهد رسول الله ﷺ لايكون اليوم دينا. وقال بعض الصحابة: من استحسن فقد شرع، ومن شرع فقد ادعى أن محمدا خان الرسالة. ولننظر للمبتدع فى الدين، هل ترك النبى ﷺ شيئا من الدين ناقصا حتى أتمه؟ هذا اتهام لرسول الله ﷺ والقرآن يقول [أكملت لكم دينكم] والنبى ﷺ يقول [ما من أمر يقربكم من الله عز وجل إلا وأمرتكم به، وما من أمر يبعدكم عن الله عز وجل إلا ونهيتكم عنه] فكون إنسان يصنع بدعة والبدع كثيرة - فتتت الدين وأبعدته عن الحق إن قوما من البادية جاءوا إليه ﷺ حفاة عراة إلا ما يسترسوءاتهم فبكى ﷺ. لماذا؟ ضلوعهم بادية من الجوع كأنهم عرايا - فقال - حاثا أصحابه - هل من تمرة؟ هل من كسرة (يعنى خبزا) ؟ هل من درهم؟ هل من دينار؟ فقام

الصحابة إلى بيوتهم - الحديث رواه مسلم - فجاء هذا بتمر - وهذا جاء بكسوة - وهذا جاء بإقط - كل من بيته - فلم يمض وقت إلا وأمام رسول الله ﷺ كومة من تمر، وكومة من زبيب، وكومة من خبز، وكومة من ثياب، ودراهم هنا، ودنانير هنا، إلا أحد الصحابة جاء بقبضة من الفضة تكاد يداه لا تمسك بها - فاستقل الصحابة ما فعلوا، فعادوا إلى بيوتهم ليزيدوا من الصدقة. فلما رأى النبى ﷺ هذا الأمر، وأن الفضة التى أتى بها صاحبها كثيرة كانت حاثا للناس على التزود من الخير - قال [من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة - ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة] - فالنبى ﷺوضع كل شىء ما له مزيد، لا نسى، ولا قصر لكى نكمل - ولا كنا أعلم منه لأننا إذا أضفنا شيئا على الدين فكأننا أكثر من النبى علما - وهذا لم يحدث أبدا - ما كان ربك نسيا - ربنا كان يذكره - فيجب أن نعود إلى الدين الصافى من غير ابتداع فيه.

- فضيلة الشيخ - سؤال آخر يتعلق بما سبقه - وهو وجوب العمل بسنة رسول الله ﷺ ومكانتها فى التشريع الإسلامى.

- أوحى إلى رسول الله ﷺ وحيان - وحى الكتاب ووحى السنة - والله تعالى يقول للنبى ﷺ [ثم إن علينا بيانه] يبين ما فى القرآن - لأن القرآن مثلا أمر بالصلاة مجملة - ولكن لم يبين كيفيتها - الظهر أربع ركعات - والصبح ركعتان إلى آخره - فمن آمن بالقرآن ولم يؤمن بالسنة فقد كفر. الرسالة جاءت بالوحيين، والله ربط السنة بالقرآن وكل ما ينطق به رسول الله هو وحى من الله - قال تعالى [وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى] - وجاء رجل إلى النبى ﷺ - كان يكتب الأحاديث - وكان النبى ﷺ قد نهاهم من قبل، حتى لا يختلط الحديث بالقرآن. ولكن لما استقر فيهم الإيمان وميزوا بين الكتاب والسنة أذن لهم أن يكتبوا، فعاب عليه أحد اليهود، قال هكذا قدستم نبيكم حتى جعلتموه كربكم تسجلون قوله - فالنبى ﷺ قال: اكتب ما أقول، إن هذا - وأشار إلى لسانه - لا ينطق عن ربى إلا بصدق. فكيف نمشى بالقرآن دون السنة؟ السنة موضحة ومفسرة للقرآن.

– فضيلة الشيخ – إذا سألنا عن الطريق الصحيح لوضع السنة المشرفة .. الموضع الصحيح فى حياة المسلمين؟

– هذا يبدأ من الصغر، الولد عندما يأكل ولم يسم. قل له: يا بنى سم الله، قل بسم الله. شبع – قل الحمد لله – دخل المسجد – يقول بسم الله وعلى ملة رسول الله – نام – يقول بأسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه – أو أى ذكر من هذا، أو آية الكرسى، لأنه ورد فى صحيح البخارى أنها تقرأ عند النوم، لأن الشيطان قال لأبى هريرة: إذا أويت إلى مضجعك فاقرأ [الله لا إله إلا هو الحى القيوم] فإنك إن قرأتها حين ذاك لا يزال عليك من الله حافظ حتى تصبح ولن يمسك شيطان. والنبى ﷺ أقر وأخذ من الشيطان. الحق إذا جاء هو حق أقبله ولو من عدوى – ولذلك يهودية قالت لعائشة رضى الله عنها يوما ما – إن القبر فيه فتنة وذكرت أن فيه عذابا وبلاء – فسألت عائشة النبى ﷺ ولم تكن تعلم بذلك من قبل، لأن الدين وصل بالتدريج. فقال النبى ﷺ لعائشة: هذا حق، إن فى القبر فتنة، وإن له لضمة، تسمع ما بين الخافقين (المشرق والمغرب).

– فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية – وقبل أن نفترق وقد أوشك وقت البرنامج على الانتهاء: هل من كلمة إلى جموع المسلمين – فى مشارق الأرض ومغاربها – من خلال إذاعة القرآن الكريم من القاهرة.

– المسلمون يأملون العزة – قال تعالى [ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] – والعزة هى السعادة والرفاهية وراحة البال وهناءة المعيشة – والقوة فى الدين والقوة فى الدنيا حتى لا نكون عالة نشترى الطعام واللباس القرآن حتى نشترى أدوات طبعه من غير بلادنا – الحبر – الطباعة – الورق – كل هذا – وهذا عيب – يجب أن يكون هناك اكتفاء ذاتى لتقوى الدولة – كل الدول الإسلامية – ويجب أن تكمل كل دولة الدول الأخرى، هذا هو التعاون الإسلامى – أما كون كل دولة تنفرد بخيراتها ولا تعطى من جاوروها من المؤمنين – لا – الإسلام يأمر بالوحدة فى كل شىء – وهذا هو الذى عاش

عليه الخلفاء الراشدون والدول الإسلامية من قبل - كان الخراج يأتى إلى عمر من مصر، من الشام، من العراق، من إيران، من ليبيا - أيام الفتوحات - وكانت راية واحدة ودولة واحدة.

نريد أن يكون للمسلمين وحدة تحوم حول كتاب الله - يربطهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وقد ورد - ولكنى لا أقول إنه حديث [لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى - فإن خرجتم عنها سلط الله عليكم من يخيفكم حتى تعودوا إلى سنتى] - الحديث ما هو من الصحاح - ولكن فى هذه المناسبة ينطبق علينا تماما - وإن مع العسر يسرا - ودوام الحال من المحال - والله يقول [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] - فعلينا أن نبدأ، نغير الخبث إلى طيبة، نغير القبح إلى جمال - نغير العصيان إلى طاعة، نغير الوثنيات والشركيات وعبادة غير الله إلى توحيد - الله تعالى إذا علم من عباده هذا الاتجاه يغير أحوالهم، وهو عنده ملائكة تنصرنا، ألا ترى أنه فى غزوة بدر كان سيد المؤمنين رسول الله ﷺ يقود طلحة والزبير وعمر وسعد وغيرهم، أما ملائكة السماء فقد نزل خيارهم فى هذه الغزوة بقيادة جبريل عليه السلام - ولا يزال جبريل موجودا - ولا يزال جنود الله موجودين، ولله جنود السموات والأرض - وما يعلم جنود ربك إلا هو - والمسلمون طالما كانوا متمسكين بكتاب الله - ملتفين حوله - فالله ناصرهم.

- وهكذا إخوة الإسلام - عشنا خمسا وأربعين دقيقة - هى مدة البرنامج - مع الداعية الإسلامى الشيخ محمد على عبد الرحيم - جلنا معه سريعا حول القضايا التى تطرح نفسها على الساحة الإسلامية فى هذه الأيام. فى نهاية هذه السهرة نتقدم بخالص الشكر والتقدير لفضيلته، وندعو الله تعالى أن يديم عليه الصحة والعافية، وأن يجعله مفتاحا لكل خير، مغلاقا لكل شر.

شكر الله لكم - ونفع الله بنا وبكم - ووفقنا إلى العمل بما نقول - وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد - وعلى آله وصحبه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته رجب خليـــل

سلمان رشدى وكتابه الضال

بقلم: الأستاذ الدكتور أمين محمد رضا
أستاذ جراحة العظام والتقويم والإصابات المتفرغ
بكلية الطب جامعة الإسكندرية

الجزء الثانى: القسم اللادينى

هذا المقال تقرير عن كتاب سلمان رشدى (آيات شيطانية)، تم نشر الجزء الأول منه فى العدد السابق من المجلة، وجاء فيه أن الكتاب محتو على شقين من الكلام التافه ممتزجين ببعض من غير سبب واضح. فشق منه، والذى وصف فى الجزء الأول من هذا المقال، قصة تافهة وخرافية ولا هدف لها رواها المؤلف فى خمسة أبواب فردية الترقيم، وبذلك فهى ليست متتالية، ومجموع صفحاتها ٣٩٦، أى أنها تكوِّن الشطر الأكبر من الكتاب. أما الشق الآخر فنقدم تقريرا عنه فى هذا العدد من المجلة.

هذا الشق الثانى جاء فى ١٥٢ صفحة، أى فى أقل من ثلث الكتاب، موزعة على أربعة أبواب كلها زوجية الترقيم، أى أن جميعها غير متوالية، ويفصل كل باب منها عن الباب المسلسل معه باب آخر فردى الترقيم لا صلة له بهما. وبذلك فالقارئ يشعر بوضوح أنها محشورة حشرا بين الأبواب الفردية التى لا ترتبط بها بأية رابطة. ويكفى تضاربا بين أحداث الزوجية والفردية، أن الأولى تجرى وقائعها فى زمن سحيق، والفردية فى وقت معاصر لزمننا.

الاستهزاء بالأنبياء

الشخصية المركزية فى هذه الأبواب هى الرجل الذى يسميه المؤلف الفاجر (ماهوند)، وهو اسم يدعى سلمان أنه مرادف لاسم (محمد)، ولكنه من صياغة الشيطان (صفحة ٩٣).

ماهوند هذا رجل أعمال، تاجر و دبلوماسى أصبح نبيا، وبما أن هذه هى صفاته فلا مانع من أن تتلون نبوته حسب المناسبات، وهى أحيانا تلتوى، وأحيانا أخرى تعطى تنازلات، وكل ذلك بعبقرية فائقة فذة. فعندما وجد أنه لابد أن يجمع حوله المشركين وهم الأغلبية، تلا الآيات الشيطانية، آيات الغرانيق التى امتدح فيها اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى (صفحة١١٤)، وبذلك تجمَّع المشركون حوله وساندوه وقللوا من اضطهاده. ولما احتج المسلمون، وكانوا مازالوا أقلية، اعتذر إليهم فى الخفاء، وادعى أن الشيطان هو الذى غرر به وأجرى على لسانه هذه الآيات المزوَّرة. ويعطى المؤلف لماهوند عدة ألقاب: نبى، رسول، رجل أعمال، دبلوماسى، صاحب الحكمة. أما بقية الأوصاف التى يصفه بها تنطبق على رسول الله ﷺ، مع قليل من الاحترام، وكثير من التهكم. ويفهم من كلام المؤلف أنه لا رسول ولا شىء، وإنما هو رجل يدَّعى أنه يوحى إليه، وأنه رسول، إلا أن بعض الناس صدَّقوه بسهولة، بالرغم من المعارضة الشديدة التى واجهته وواجهتهم، وبالرغم من التعذيب الذى تعرضوا له. ولما وجد ماهوند أن ادعاءه وجد رواجا، استمر فى طريقه الملتوى، وزاد فى افتراءاته، ونجح فى ذلك بدهائه ودبلوماسيته.

ونبينا محمد أبعد ما يكون عن هذه الأوصاف فى نظر وقلب من عرفوه، لا فى نظر وقلب من لم يعرفوه ولا قدَّروه مثل سلمان رشدى. لقد احتمل رسالة ربه، التى خلَّصت الناس من الظلم والظلمة، ومن العبودية والقهر، ومن الجهل والجهالة. ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وثبَّت أسسها فى قلوب المؤمنين، الذين أصبحوا أقوياء بإيمانهم، هذه القوة التى جعلتهم يتمكنون فى أقل من قرن من الزمان من نشر هذه الرسالة وأسسها وقواعدها إلى جميع بلاد العالم المعروف آنذاك.

وكان رسول الله محمد أول من اضطهده المشركون بسبب تحمُّله رسالة ربه وتبليغه إياها، وأصابه بسببها مالا يمكن لبشر آخر أن يقوى عليه. وبدأ فى مهمته فردا واحدا، ثم انضم إليه المؤمنون فردا فردا. ولم يصبحوا كثرة إلا ببطء شديد. ومن يدرس تاريخ الإسلام يجد أن كلام سلمان رشدى هذا خطأ علمى صارخ، علاوة على أنه كفر وكذب. وبالرغم من أنه لا يؤمن بالقرآن أو بأى كتاب آخر فهو الذى ينتظره العذاب المهين بسبب هذا الأذى الظاهر لله ولرسوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا - الأحزاب ٥٧).

نشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وأنه مرسل من قبل ربه وربنا رحمة بنا وبالناس أجمعين، ونشهد أن الإسلام النقى الذى جاء به محمد هو الأمل الوحيد الذى يخلِّص العالم فى العصر الحالى من كربه وهمه وخرابه وظلماته، وأنه ﷺ بلغ الرسالة على أتم وجه، وشهد له صحابته بهذا التبليغ التام، ونشهد نحن أيضا أن الرسالة بلغتنا فى عصرنا الحالى تامة نقية ناصعة، وأنها هى الخير كله، ولا خير بدونها، فى دنيانا وآخرتنا. ونشهد أنه ﷺ أبعد ما يكون عن تفاهات ونزوات وكفريات وخرافيات سلمان رشدى.

إلا أن تَهَكُّم سلمان رشدى لم يوجه فقط إلى نبى الإسلام، ومعتقدات المسلمين ومقدساتهم، بل أصاب أيضا فى كلامه وتهكمه و (على الماشى) عدة شخصيات نبوية أخرى، إبراهيم، إسماعيل، هاجر، موسى، مريم، وربما لم يسعفه ذهنه من ذكر جميع الأنبياء والمرسلين فى تهجماته وتهكماته لعدم معرفته بهم، أو عدم اهتدائه إلى كلام ينال به منهم، عليهم جميعا وعلى نبينا صلوات الله وسلامه.

المكـــــان

البلد التى وقعت فيها هذه الأحداث تشبه مكة المكرمة من جميع الوجوه. فيها بيت يسميه المؤلف (بيت الحجر الأسود)، يحج إليه الناس، ويتجهون إليه فى صلواتهم، ويطوفون به، ويجتمعون بجانبه، وهو ملىء بالأصنام. وبالقرب من جبل اسمه (جبل قون)، يتسلقه ماهوند من حين لآخر فى تمثيلية متقنة،

ويغيب فوقه زمنا قد يطول وقد يقصر، ثم ينزل من فوقه، ويتلو على أصحابه آيات يدَّعى أنها أوحيت إليه من الله عن طريق الملاك جبريل. وما اسم هذه المدينة؟ إنه (جاهلية)، ليزيد سلمان إفكه بهذا الاسم إفكا جديدا.

كاتب الوحى

أما كاتب الوحى فهو رجل غشاش مدلِّس، ويصرح بذلك للناس ويفخر به. ويقول إن (ماهوند) يملى عليه كلاما، ويكتب هو كلاما آخر. وبما أن ماهوند أُمى فهو لا يمكنه اكتشاف هذا التدليس.

وقد نسى المدلِّس الأعظم - وهو سلمان رشدى نفسه - أن الوحى عندما كان ينزل على رسول الله ﷺ، كان يقرأه فور وحيه، ويقرأه فى الصلاة ويستشهد به فى أحاديثه وخطبه على الملأ، وينتقل حفظه من صحابى، إلى صحابى حفظا وكتابة. وكان الجميع كتبةً وقراءً ومصلين، فى منزل الوحى، وفى جميع بلاد المسلمين، لا يجدون اختلافا فى حرف أو لفظ، أو نطق أو ترتيب، أو فصل أو وصل، مما أكد للناس، بأعداد لا حصر لها ولا عد، فى القرن الأول من الهجرة، وفى القرون المتوالية من بعده،إلى القرن الرابع عشر الماضى، ومنه إلى القرن الخامس عشر الحالى، مما لا يجعل الشك يداعب فكر أى عالم عاقل، ولا أقول أى جاهل أحمق، فى وجود تحريف أو تدليس أو تخريف أو تصحيف مثل الذى وقع فيه سلمان المؤلف بسبب جاهليته.

إن قرآن المسلمين هو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذى تمَّ حفظه من كل تدخُّل من البشر بقرار من أعلى وأقوى جهة فى الوجود، من الله العلى القدير (إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون - الحجر ٩).

والواقع يهدينا إلى أن القرآن محفوظ مدوَّنا فى المصاحف، ومحفورا فى قلوب وعقول المسلمين المؤمنين، عباد الله المخلصين، يحفظونه عن ظهر قلب، يحتاجون إليه فى صلواتهم، وفى الاحتجاج به فى أحاديثهم وتشريعاتهم وفى علاقاتهم ببعض. ولا يوجد غيره من الكتب حفظ بهاتين الطريقتين المتطابقتين، تدوينا وتلاوة، عبر التاريخ كله، ولا فى تاريخ النقل بالنسخ، ثم بطباعة

جوتنبرج، ثم بالأوفست، ثم بالحاسبات الالكترونية، والطباعة التصويرية، والأقمار الصناعية، والكتابة عن بعد (التلكس)، والنقل طبق الأصل عن بعد (التلفاكس).

إن كتاب الله العلى القدير، القرآن العظيم المجيد، محفوظ بدقة متناهية، فى صورة وحيدة لا تختلط. ومن يقول غير ذلك فهو جاهل بكل العلوم، ومعاند فى أظهر البديهيات، وأعمى بكل الواضحات، ولا يوجد على وجه الأرض إنسان أشد عمى من الذى لا يريد أن ينظر أو يبصر.

البيت الداعر

والفرية الكبرى التى أغضبت المسلمين هى تطاول المؤلف على أمهات المؤمنين، عندما ذكر فى الفصل السادس فى الصفحة ٣٧٦ وما بعدها، أن بقرية (جاهلية) فى ركن غير معروف فيها، دار للعاهرات، كلهن غيَّرن أسماءهن، وتسمَّين بأسماء أزواج رسول الله ﷺ، وزاد أزواجه أمهات المؤمنين كمالاً واحتراماً وتوقيراً وتشريفاً. وما كان تغيير أسمائهن إلا من باب الدعاية والشهرة التجارية. وزيادة فى (البروباجندا). وبما أن المؤلف يقصد الاستهزاء، فقد أطلق على هذه الدار الدنسة اسم (الحجاب). وعلاوة على أنها كانت داراً للبغاء السرى المنظَّم على شكل مشروع تجارى متكامل، كانت أيضا ملجأ للمشركين المطلوبين للعقاب، والمجرمين الذين عليهم قصاص، فيفرون إلى دار الحجاب هذه، ويتم تأمينهم وحمايتهم فيها دون مقابل.

خرافة الحج

وتوجد رواية بدأها سلمان رشدى فى الفصل الرابع من كتابه، وقطعها وتركها معلقَّة لثلاثة فصول، ثم عاد فأكملها فى الفصل الثامن. نسج خياله أحداث هذه الخرافة للحطِّ من قدر كل أنواع الإيمان، ولإظهاره فى صورة السراب الذى يجرى وراءه المجذوب إليه لكى لا يجد شيئا فى آخر سعيه. وهذه هى قصة عائشة، الفتاة الهندية الفقيرة التى كانت تنتابها نوبات تشنج

تفقد فيها وعيها، وكانت لا غذاء لها إلا الفراشات التى كانت تحوم وتغطى بدنها النحيل. وكانت تصف رؤى تراها أثناء غيبوبتها. وبهذا المظهر (الروحانى) أثرت على أهل المنطقة وأقنعتهم أنها ستسير بهم على الأقدام فى موكب إيمانى رهيب، متجهة إلى مكة المكرمة للحج، حتى ينالهم الثواب العظيم مضاعفا، جزاء العناء فى رحلتهم الطويلة الصعبة. وبذلك يبرأ مرضاهم وما أكثرهم، وأغلبهم كانوا مرافقين للركب بالرغم من ضعفهم وعذابهم، وتغنى قراهم بالرزق الوفير، ويزول الجفاف الذى كان يخرب مزارعهم لعدة سنوات. وأقنعتهم كذلك أنها عندما تصل بهم إلى شاطئ المحيط الذى يفصل قارتهم عن الجزيرة العربية ستنقسم المياه إلى قسمين فيسيرون بكل يسر على قاعة اليابس إلى هدفهم المبارك المقدس.

وسار الجميع واضعين أمام أعينهم هذه الآمال الكبيرة، وآمالا أخرى كثيرة وأعظم. ساروا أياما وليالى، ونفق منهم من نفق، ولكن إيمان أحد منهم لم يتزعزع. وظل هذا الإيمان راسخا فيهم كالطود العظيم، وخاضت بهم عائشة اليم، ولم تنقسم مياهه، ولم يلحظ ذلك أحد، وغرقت عائشة، وغرق الجميع، ولم ينج منهم أحد، ولم يحج منهم أحد. وما كل ذلك إلا لإيمانهم الأعمى، وما الإيمان إلا خيال، والمخدوع بالإيمان ضال لا يصيبه إلا الفشل، وقد يخسر حياته دون مقابل.

هذا العرض الملخص يبين أن كتاب سلمان رشدى تافه من جميع الوجوه. القصة المعاصرة الشاذة الممسوخة لا يوجد فيها هدف جلى: لا موعظة، ولا أسلوب أدبى، ولا تسلية، ولا درس فى الأخلاق، ولا فى أى شىء مفيد. والجزء المتعلق بالمسائل الإيمانية والعقائدية الدينية، وأغلبه بل يكاد يكون كله، نسيج من التراث الإسلامى، يتخلله الهمز واللمز بالتحقير تارة، وبالاستهزاء تارة أخرى. وقد سمح لنفسه أن يؤلف معلومات ممسوخة عن دين وقر فى قلب أكثر من ألف مليون شخص، تحت ستار حرية الكلمة. إنها حرية البذاءة وحرية الكفر والإلحاد، التى تتطاول على حرية العقيدة التى ينادى بها العالم المتقدم.

أما سلمان رشدى فما رأيه فى هذا الكتاب الذى كتبه ومسخه؟ إنه أجاب عن هذا السؤال فى مجلة نيوزويك (١٢ فبراير ١٩٩٠) التى أجرت معه حديثا صحفيا هاتفيا وهو فى مخبئه، بمناسبة مرور سنة كاملة وهو يعيش حبيسا تحت حراسة الشرطة خوفا من اغتياله. فقد قال إنه طوال هذه السنة أعاد قراءة كتابه هذا عدة مرات، بل إنه كاد يحفظه عن ظهر قلب من كثرة قراءته له، لأنه كان يريد أن يجد فيه مواضع الاتهامات التى وجهت إليه، ولكنه لم يجد فى الكتاب ما يبررها. وإنما تأكدت عنده نظريته التى كتب الكتاب على أساسها، فهو إنسان لا يؤمن بدين أو بإله خالق أو ببعث أو بحياة آخرة، ينظر إلى الدين بوجهة نظره هو اللاإيمانية.

نعم، إن الكفر كفر، وإلحاد، ونظرة الكافر الملحد ممكن أن تكون ناقدة مفكرة، منكرة معارضة ببرهان أو بدون برهان. أما أن تكون نظرة بتهكم واستهزاء، أليست هذه هى نفسها نظرة الهمجية المتطاولة، والتى لا تمت إلى الحضارة والفكر بأية صلة؟ وهذا ما استحق بسببه سلمان رشدى حكما بالإعدام، تحوَّل إلى حبس مؤبد!

ولماذا نحا سلمان رشدى هذا المنحى، أى لماذا اتجه إلى التطاول والاستهزاء والتهكم؟ لأنه لم يجد فى علمه أو فكره أو تأمله طريقا لنقد الإيمان كله، والدين عامة، والدين الإسلامى خاصة. فماذا يفعل وعقله فارغ خاو خراب من كل شىء. ماذا يفعل من لا يجد حجة يد حض بها حجة غيره؟ ماذا يفعل من لا يجد كلاما وجيها يعارض به كلاما آخر أشد علما وقوة ونورا؟ إنه يلجأ الى البذاءة والتهكم والفكاهة. وهى طريق الضعيف الأحمق. فاستحق من الله سبحانه وتعالى اللعنة فى الدنيا والآخرة. وهذه هى حاله حتى الآن من يوم أن ظهر كتابه. اختبأ فى مكان لا يرى فيه أحداً، ولا يراه أحد. حبس نفسه فى سجن افتراءاته، الذى يقول عنه إن أشد العذاب فيه هو أنه لا يرى لسجنه نهاية، فإما قتل إذا خرج من سجنه الذى دخل فيه بما قدمت يداه، أو سجن إلى الأبد باختياره!

أ. د. أمين محمد رضا

خصائص العقيدة الإسلامية

بقلم: فضيلة الشيخ عبد اللطيف محمد بدر

- ٣ -

فى الحلقة السابقة تحدث الكاتب فى هذا البحث عن الخصيصة الأولى من خصائص العقيدة الإسلامية حيث بيّن أنها تقوم على الاطمئنان القلبى والاقتناع النفسى وبين الطرق التى سلكها الإسلام لغرس العقيدة السليمة فى القلوب ولخصها فى ثلاثة طرق: إيقاظ الفطرة فى النفوس، ومخاطبة العقل الإنسانى والنقل الصحيح عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ.

التوحيد

الخصيصة الثانية للعقيدة الإسلامية أنها تقوم على التوحيد الخالص لله رب العالمين فهى **تؤكد توحيد الربوبية** الذى أقر به المشركون فلم ينازعوا فى أن الله هو الخالق الرازق المحيى المميتُ مالكُ الملكِ ومدبرُ الأمر وحده.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى معرض إقامة الحجة عليهم: (قلْ من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل: أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحقُّ فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) ٣١، ٣٢ - يونس.

كما تُقَرر توحيد الألوهية الذى أشرك فيه المشركون فلم يَخُصُّوا الله وحده بالعبادة ولم يُفْرِدوه بالاستعانة وإنما اتخذوا من دونه الأنداد يتقربون إليهم ويستعينون بهم والله تعالى يقول: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ٥ البينة - ويقول: (قُل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله

بضرٍّ هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هُنَّ ممسكاتُ رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) ٣٨: الزمر. وجماع ذلك قول الله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)

* وتوحيد الله عز وجل بشقيه السابقين هو الحقيقة الأساسية فى العقيدة الإسلامية وهو الخاصية البارزة فى رسالة كلِّ رسول. قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ٢٥ الأنبياء.

* ولكنَّ الانحرافات التى وقع فيها أتباع الرسل السابقين - عليهم الصلاة والسلام - لم تُبقِ على هذه الخاصية وخرجتْ بهم من التوحيد الخالص إلى الشرك الظاهر ولم يَبْق فى الأرض تصور صحيح عن الله رب العالمين إلا ما جاء به الرسول الأمين محمد ﷺ وتضمنته عقيدة الإسلام. قال الله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيحُ ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) ٣٠، ٣١ - التوبة.

* وتوحيد الله عز وجل يقتضى أن يكون الله سبحانه واحدا فى ذاته وواحدا فى صفاته وفى أسمائه وواحدا فى أفعاله فليست هناك ذات تشبه ذاته وليس لأحد صفة تماثل صفته ولا فعل كفعله سبحانه: (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ١١- الشورى.

والله تعالى يقول: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ٩١، ٩٢: المؤمنون. ويقول سبحانه: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) ٢٢- ٢٣: الأنبياء.

* ويقتضى توحيد الله عز وجل إلى جانب توحيد ذاته وأفعاله وأسمائه وصفاته وإفراده بالعبادة والاستعانة أن يكون الله وحده المشرع لعباده والحاكم بينهم والمنظم لحياتهم يتلقون عنه سبحانه شريعتهم ونظام حكمهم

ومنهاج حياتهم. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ..)٤٨ المائدة. ويقول له (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ١٨: الجاثية.

* فليس موحداً لله من تلقى شريعته ومنهاجه عن غير الله. قال تعالى عمن تلقى عن غيره: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ..) ٢١: الشورى. وقال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) ٦٠ - ٦١ النساء.

* **الخصيصة الثالثة**: للعقيدة الإسلامية أنها تحرر صاحبها من الانحراف والخوف والذلّ لغير الله تعالى.

* فإذا اعتقد المسلم أن الله محيط بكل شيء علما وأنه قاهر فوق عباده وأنه يجازى كلَّ نفس بما عملت: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ٧ - ٨: الزلزلة.

* إذ اعتقد المسلم ذلك استقام على أمر الله وتجنب ما نهى عنه خشيةً من عقابه ورغبةً في ثوابه وطمعا في رضاه. فكان إنسانا سوىً السلوك لا تميل به الأهواء ولا تنحرف به الشهوات. قال الله تعالى: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) ١١٢ هود.

* وإذا اعتقد المسلم أن أجله ورزقه ومكانته في الدنيا لا سلطان لغير الله عليها فإنَّه يتحرر من الخوف ويكون شجاعا في الحق مجاهدا في سبيل الله لا يهاب الموت لأنه يؤمن أن أجله محدود لا يقدمه الإقدام ولا يؤخره الإحجام: (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ٣٤ : الأعراف ويقول الله تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموتُ ولو كنتم في بروج مشيدة) ٧٩ : النساء.

* ولا يخاف على رزقه لأنه يؤمن أنه من عند الله (وما بكم من نعمة فمن الله) ٥٣ : النحل. (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) ٦ هود. ولم يجعل الله خزائن رحمته بيد أحد من خلقه وإنما جعلها له وحده: (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا) ١٠٠ الإسراء.

* ولا يداهن أحدا لأنه يؤمن أن الذى يرفع ويخفض ويعز ويذل هو الله وحده. يقول الله تعالى: (بشِّر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) ١٣٨ - ١٣٩ : النساء. ويقول الله تعالى: (وقالوا لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ٣١ - ٣٢ : الزخرف.

* وإذا اعتقد المسلم بأن الله قاهر فوق عباده وأن جميع من فى السموات والأرض يسجد له طوعا أو كرها وكلهم آتيه يوم القيامة فردا لم يخضع إلا لله ولم يذل لأحد سواه. قال الله تعالى: (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ٩٣ - ٩٥ : مريم. وقال تعالى: (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكَرْهًا وظلالهم بالغدو والآصال) ١٥ : الرعد. وقال تعالى: (قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ٦٤ : آل عمران.

* وما أحسن ما عبر به ربْعى بن عامر رضى الله عنه عن طبيعة عقيدة المسلم وهو يقول لرستم قائد الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان[1] إلى عدل الإسلام.

يتبع إن شاء الله

عبد اللطيف محمد بدر

---

(١) الأديان البشرية الضالة.

مفاهيم عن التوسل

تدعونا إلى التخلف

بقلم / على عيد

مما نأسف له كثيرا أن نجد دعاة بين المسلمين يدعون إلى أفكار يؤمنون هم بها، ثم يروجون لها ويدافعون عنها بحماس واستقتال، ولست أدرى سببا لذلك التشبث بها والدفاع عنها، وهى مسائل لو كانت على شىء من الحق لكانت مسألة خلافية يجوز فيها الخلاف، غير أنها عند التحقيق يثبت أنها ليست على شىء من الأصالة الإسلامية التى تنشئ فكرا أو تقيم عقيدة أو تبنى تصورا ينتسب إلى صحيح الدين الإسلامى الحنيف الذى لاترى فيه عوجا ولا أمتا، مثال ذلك مسألة دفعت بقطاعات عريضة من المسلمين إلى تنكب النهج الحضارى للإنسان، والتوجه تلقاء مشاهد وقبور الأولياء والصالحين، ألا وهى مسألة التوسل، والتى أرى أن ضياع فهم المعنى الصحيح للتوسل هو الذى دفع بأولئك الأقوام ودعاتهم إلى هذه الممارسات والمفاهيم الخاطئة، وتمسكهم بالآثار المختلفة والواهية، وترك النص القرآنى الصريح والحديث النبوى الصحيح فى الموضوع ...!

فمثلا حين يقول الحق تبارك وتعالى : «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون» فهل يكون معنى الوسيلة فى هذه الآية شيئا غير العمل الصالح الذى يقرب من الله عز وجل ؟! وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (وابتغوا إليه الوسيلة) أى القربة . وقال قتادة : أى تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، والوسيلة لغة هى التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، قال الراغب: [الوسيلة التوصل إلى الشىء برغبة وهى أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة» وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة، والواسل الراغب الى الله تعالى ...] وبذلك يكون معنى

الآية ابحثوا عن الوسيلة التى تقربكم من الله، وهذه الوسيلة مسبوقة بالتقوى، ومشفوعة بالجهاد، والجهاد فى سبيل الله، سعى ومكافحة ومجالدة ومصاولة، وهو وسيلة صحيحة للقرب من الله ونيل رضوانه، والتقوى أيضا مجاهدة نفسية وحذر دائم، وهى وسيلة صحيحة أيضا للقرب من الله والحظوة بقربه ومعيته ورضوانه، وثمة آية أخرى وردت بها الكلمة فى سورة الإسراء وهى قوله تعالى: «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا» [٥٦ - ٥٧ الاسراء] فقد روى الصحيحان تفسيرا لها، أن نفرا من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، بينما النفر من الإنس الذين كانوا يعبدونهم لايشعرون، وعلق الامام ابن حجر بقوله : أى استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لايرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المعتمد فى تفسير الآية .. فتبين من هاتين الآيتين أن المراد بالوسيلة القربى إلى رضا الله، وليس فى كتاب الله مايخالف ذلك، ولم ترد الكلمة فى غير هاتين الآيتين ..!

أما فى الحديث القرآنى المبين لما يتقرب به راجى لقاء ربه، فقد فصل فى قوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا» فالعمل الصالح هو العمل الذى قصد به وجه الله سبحانه وتعالى، وأضيف اليه التنزه عن مظنة الإشراك بالله سبحانه وتعالى، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك، أو أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه معه غيره تركه وشركه، ونعتقد أن العمل المشروع كى يكون صحيحا لابد فوق كونه مراداً به وجه الحق تبارك وتعالى، أن يكون وفق ماشرعه الله، لا أن يكون من وحى الخيال، أو من فيض الخواطر، أو تقليدا للأسلاف والعجائز، وإنما يكون وفق قول النبى ﷺ : «تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتى » وكتاب الله سبحانه ليس فيه دعوة واحدة الى الاستعانة بموتى المسلمين والتوسل بذواتهم إلى الله، وأيضا

ماصح وثبت من السنة المحمدية المبرأة من كل نقص، يتفق مع القرآن تماما .

أما الباحثون عن واهيات الآثار والتى لاغناء فيها ولامتعلق لمتوسل، يتمسكون برواية تقول إن النبى صلى الله عليه وسلم حين انتهى الناس من حفر قبر فاطمة بنت أسد، دخل القبر فاضطجع فيه فقال : «الله الذى يحيى ويميت، وهو حى لايموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى، فإنك أرحم الراحمين» وهذا الحديث رواه الطبرانى وأبو نعيم من ورائه، وهو ضعيف جدا، ويتعارض مع روح الاسلام وهدى النبى ﷺ، الذى طالب ابنته بأن تعمل لأنه لايغنى عنها من الله شيئا، ثم كيف يقول بحق نبيك والأنبياء من قبلى وهو يعلم أنه لايجوز أن يسأل الله عز وجل بحق خلق من خلقه ..!

وأثر آخر يقول: إن النبى ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين، أى يستنصر ويطلب أن يفتح الله عليه وينصره بفضلهم، والحديث رواه الطبرانى أيضا وهو ضعيف جدا، ورغم الضعف الشديد للحديث، فإن معناه لايدل على المعنى الباطل المراد من إيراده، فقد ورد بسنن النسائى قول النبى ﷺ «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» وهكذا نرى أن هذا الحديث المحكوم بصحته قد بين أن الاستفتاح والاستنصار بالضعفاء إنما يكون بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم، وهذا يتفق مع حديث توسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالعباس عم النبى ﷺ عند الاستسقاء بعد انتقال النبى إلى الرفيق الأعلى، وكنت أود التعقل من كل من يورد هذه القصة الصحيحة فإنها ترد على من يمم وجهه شطر القبور، فإن التوسل بالأموات - حتى لو كانوا أنبياء - لو كان جائزا لكان النبى ﷺ أولى، لكنهم توسلوا بالعباس رضى الله عنه، فدعى لهم كما كان يدعو النبى صلى الله عليه وسلم، ومن هنا يظهر أن التوسل كان بدعائه وعمله المظنون صلاحه وليس بذاته، أما الحديث الذى يوردونه فى غفلة عنه وهو :

«توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله العظيم» فإنه حديث موضوع، وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبى ﷺ عندما أراد التوبة من خطيئته، فرآه مكتوبا على قوائم العرش، فهو موضوع وباطل، وكم آسف كلما سمعته بإذاعة القرآن الكريم أو جهاز التليفزيون، لأن ذلك يدلنا على كمية الفقر العلمى المدقع لمقدمى ومذيعى البرامج الدينية فى وسائل الإعلام. أما قولهم عن حديث : «إن الله يوكل بقبر الولى ملكا يقضى حوائج الناس» أنه صحيح عن طريق الكشف، فذلك إصرار على إضلال المسلمين وترويج الخرافات .

ولقد عجبت العجب كله حين قرأت رأيا فى قوله تعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» أن النبى ﷺ اتخذه الله وسيلة لرحمة العالمين، فيجب أن يتوسل الناس به إلى ربهم. وهذا لعمر الحق من التلاعب الفكرى لدى دعاة العصر، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله ربه رحمة للناس كافة، وقال عن نفسه «إنما أنا رحمة مهداة» فهو رحمة برسالته، ومن غير المتصور أن يكون رحمة لغير متبعه والمؤمن به، ومتبعه والمؤمن به وبرسالته، لاشك سيعمل بمقتضى رسالته وهو العمل الصالح القائم على التوحيد، ومن ثم سيجد ماوعده ربه من الرحمة حقا، أما أن يترك الإنسان العمل بمقتضى رسالته ويتوسل به وهنا يكون التوسل بذاته، فهذا فعل الغافلين ولاريب .

وقد قال تعالى : «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون» فرغب سبحانه وتعالى عباده فى التوجه إليه مباشرة باستجابة مخبتة وإيمان خالص، وليت علماءنا وكبراءنا يعلمون الناس كيف يتوجهون إلى الله وحده والسنة المحمدية ذاخرة بصحيح الدعاء، وكيف يقدم الإنسان بين يدى حاجته تضرعه وتحننه إلى ربه واسترحامه إياه ورجاءه بأسمائه الحسنى واسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب، ناهيك عن كثرة السجود والتبتل بين يدى الله .

نسأل الله عزوجل أن يقسم لنا من خزائن رحمته وعلمه، إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

على عبد

رئيس الشبان المسلمين بسرس الليان

دفاع عن السنة المطهرة

بقلم: على إبراهيم حشيش

(٣٩)

لقد جاء بعض طلبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع المنصورة بكتاب "هل من الشرك التوسل بالأنبياء والأولياء" للدكتور محمد أحمد العلمى حيث يدرس لهم العقيدة - يسألون عن صحة هذا الكتاب.

ولو كان هذا الاعتقاد هو اعتقاد الدكتور وحده لتركته ونفسه لقول الله تعالى: "هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون" (٣٠/ يونس)

ولكن الدكتور يدرس للطلاب "العقيدة" وخوفا من أن يفتن الطلاب بعقيدة الدكتور التى ينشرها فى الكتب سنبين حقيقة هذا الكتاب وخاصة أن هؤلاء الطلبة سيكونون دعاة وأئمة فى مساجد مصر وغيرها.

قلت: وجدت أن عقيدة الدكتور هى التوسل بالأموات والدعاء عند القبور كما فى كتابه هذا ص (١٠٤) بل وصل به الحد إلى الاعتقاد بأن الحى يذهب إلى قبر الميت، ليتعلم الحى من الميت أمور دينه. يظهر ذلك من كتابه ص (٢٥) حيث ينقل بغير تحقيق: "أن الخضر عليه السلام كان يذهب بعد صلاة الصبح ليسمع درس الفقه من الإمام أبى حنيفة النعمان فلما مات الإمام أبو حنيفة دعا الخضر ربه أن يرد روح أبى حنيفة إلى قبره ليسمع منه علوم الشريعة كما كان يسمعها منه فى الدنيا وأجاب الله دعوته فكان يذهب كل يوم بعد صلاة الصبح إلى قبر الإمام أبى حنيفة فيسمع صوته من داخل القبر ويتعلم منه علوم الشريعة وظل على ذلك خمس عشرة سنة حتى أتم علوم الشريعة"

ثم يقول الدكتور: "فإن المتأمل فى سنة رسول الله ﷺ يجد فيها تأييدا لهذا؛ فقد روى الإمام الحافظ المنذرى عن ابن عباس رضى الله عنهما "أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى يختمها فأتى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إنى ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى يختمها فقال رسول الله ﷺ "هى المانعة هى المنجية تنجى صاحبها من عذاب القبر" ثم يقول الدكتور ص (٢٦): «إن فى هذا الحديث إقرارا من رسول الله ﷺ لما قصه عليه هذا الصحابى فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ سماع هذا الصوت ...» كما فى السطر (١٤)

قلت: يا دكتور من الذى أخبرك أن الرسول ﷺ أقر هذه القصة لتتخذها حجة لتأييد الباطل الذى سوّدت به كتابك، ألم تعلم يا دكتور أن هذا الصنيع لا يصح لعامة القراء لأنه تدليس؟ فكيف والدكتور يدرس عقيدة بجامعة الأزهر لطلبة سيحملون اعتقاده للناس، فكانوا فى أشد الحاجة إلى البحث العلمى للحديث من التخريج والتحقيق ليقف هؤلاء الطلاب على درجة الحديث، فإذا كان الحديث "ليس صحيحا" فإن ما بنى عليه يصبح باطلا خاصة فى العقائد، والى الدكتور التخريج والتحقيق حتى يتبين الحق:

القصة (منكرة) أخرجها الترمذى ح (٢٨٩٠)، وابن عدى فى "الضعفاء" (٧/ ٢٠٥)، وأبو نعيم فى "الحلية" (٣/ ٨١) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبى الجوزاء عن ابن عباس مرفوعا. قال أبو نعيم: "غريب من حديث أبى الجوزاء لم نكتبه مرفوعا مجودا إلا من حديث يحيى ابن عمرو عن أبيه"

قلت: ويحيى بن عمرو بن مالك النكرى: أورده الذهبى فى "الميزان" (٤/ ٣٩٩) برقم (٩٥٩٥) وقال: ضعفه أبو داود، وغيره، ورماه حماد بن زيد بالكذب ومن مناكيره: "ضرب بعض الصحابة خباءً على قبر. ولا يعرف أنه قبر؛ فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك ..."

وأورده الحافظ ابن أبى حاتم فى "الجرح والتعديل" (٩/ ١٧٦) وقال: قرئ على العباس بن محمد الدورى عن يحيى بن معين أنه قال: يحيى بن عمرو بن مالك النكرى: ؛ضعيف" وقال: سئل أبو زرعة عن يحيى بن عمرو بن مالك فقال: ضعيف الحديث. وأورده الحافظ ابن حجر فى "تهذيب التهذيب" (١١/ ٢٢٧) وقال: قال ابن معين وأبو زرعة وأبو داود والنسائى والدولابى: "ضعيف" وقال الدار قطنى "صويلح يعتبر به"

قلت: ومع أن هذه العبارة المنسوبة إلى الدارقطنى لا تفيد الاحتجاج حتى لا يغتر بها الدكتور فيها نظر: لأن الدارقطنى أورد يحيى بن عمرو بن مالك فى كتابه "الضعفاء والمتروكين" برقم (٥٨٣) وجاء فى مقدمة كتابه هذا: «قال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمى البرقانى. طالت محاورتى مع أبى منصور إبراهيم بن الحسين بن حَمكان لأبى الحسن علىٍّ الدارقطنى عفا الله عنى وعنهما فى المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم فى هذه الورقات» ثم أورد الحافظ ابن حجر فى «تهذيب التهذيب»: (١١/ ٢٢٨): وقال غيره كان حماد بن سلمة يرميه بالكذب - أى يرمى يحيى بن عمرو بالكذب. وجاء فى "تهذيب التهذيب": وروى له ابن عدى أحاديث وقال: «كلها محفوظة وحديث آخر مما لم أذكره» قلت: وهذه العبارة فيها نظر وفى حاجة إلى التصحيح فبالرجوع إلى كتاب "الضعفاء" لابن عدى - الطبعة الثالثة وذكر أنها مقروءة ومدققة على المخطوطات - دار الفكر - (٧/ ٢٠٦) نجد ابن عدى يقول: «وهذه الأحاديث التى ذكرتها عن يحيى بن عمرو بن مالك بهذا الإسناد وأحاديث أُخر بهذا الإسناد عن يحيى بن عمرو بن مالك مما لا أذكرها وليس ذاك بمحفوظ أيضا» قلت: ثم قال الحافظ ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٢٨): وقال العقيلى لا يتابع على حديثه، وقال أحمد بن حنبل ليس هذا بشىء وقال الساجى: منكر الحديث. قلت: مع ملاحظة أن الذى يحاول أن يأتى بشواهد فالشواهد سوء مرفوعة أو موقوفة تدور حول فضل سورة

تبارك (الملك) وليست لهذه القصة المنكرة الغريبة التى تقول: «ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءة على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها ... » ويدعى الدكتور بعدم تخريجه وتحقيقه لها أن النبى ﷺ أقرها .. ليتخذ من هذا الباطل تأييدا لباطل آخر يقول: «إن الخضر كان يذهب كل يوم بعد صلاة الصبح إلى قبر الإمام أبى حنيفة فيسمع صوته من داخل القبر ويتعلم منه علوم الشريعة وظل على ذلك خمس عشرة سنة حتى أتم علوم الشريعة» قلت: يادكتور اتق الله: وارجع إلى أهل التحقيق تجد الحافظ ابن حجر فى كتابه «الزهر النضر فى نبأ الخضر» ص (٨٢) بعد بحث علمى من التخريج والتحقيق يقول: «والذى تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته» ثم يقول: «وأقوى الأدلة،على عدم بقائه عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعى» قلت: ويتفق الحافظ ابن حجر مع شيخ الإسلام ابن تيمية فى أقوى الأدلة على عدم بقائه حيث يقول ابن القيم فى «المنار المنيف» فصل (١٢): وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال: «لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى النبى ﷺ ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه»

ولقد أدحضنا حجة القائلين بحياة الخضر فى الدفاع عن السنة المطهرة رقم (٢٥) مبينين بالتخريج والتحقيق عدم صحة الأحاديث التى نسج الطرقية عليها أوهامهم. بهذا نكون قد أبطلنا أوهام الدكتور فى تعلم الأحياء من أصحاب القبور، وأبطلنا افتراءه على السنة المطهرة بأنها تؤيد هذا الباطل. وسنواصل - إن شاء الله - الرد على أباطيل الدكتور وافتراءاته على السنة المطهرة فى الدفاعات القادمة.

هذا ما وفقنى الله إليه وهو وحده من وراء القصد

على إبراهيم حشيش

من أمانة الكلمة:

البينة أو حدٌ فى ظهرك

بقلم: أحمد طه نصر

مع توفيق الله عز وجل تزكو النفوس وتصلح الحياة بما تضمنه هذا الكتاب الكريم من آداب وأخلاق وحدود وأحكام ألزم الله بها المؤمنين لصيانة الأسرة وطهارتها ونظافة المجتمع واستقراره وفرض عليهم العمل بها.

إن الآداب الاجتماعية والأخلاق العالية التى جاء بها الكتاب فى عديد من السور كسورة الحجرات وسورة النور - وحق لها أن تكون نورا وهداية وحصانة لما ورد فيها من الاستئذان على البيوت وفى داخلها، وغض البصر وحفظ الفروج، والتحذير من الفتنة والبغاء، وتحريم الاختلاط، والنهى عن إبداء الزينة للأجانب وغير المحارم. إنها أسباب وقائية لحفظ الأسرة من الانحلال، وحفظ المجتمع من التصدع والانهيار.

إن الحدود والأحكام الشرعية التى ذكرت فى السورة كحد الزنا والقذف وأحكام اللعان إنما شرعت للضرب على يد العابثين بالأعراض، المنتهكين للحرمات، الممتهنين للكرامات، وتطهيرا للمجتمع من رواد الفساد والفوضى، وحفظا للأمة من عوامل الانحلال الأخلاقى الذى يقضى على الأنساب ويغرس الأحقاد ويشيع الفاحشة بين الناس.

وفى عجالة: ماذا عن أمانة الكلمة والبينة والشهود؟ ماذا عن القذف والزنا؟ إن السورة جديرة بالدراسة والمتابعة لاستقامة الحياة وتحقيق النجاح المنشود.

الزنا: جريمة كبيرة الضرر، تهدم بنيان الأسرة، وتحطم كيان المجتمع. وهو خروج على النظام الإسلامى السليم، نظام الزواج الذى شرعه الله للارتباط بين الرجل والمرأة. ولعظم جنايته قرنه

الحكيم عز وجل بالشرك وقتل النفس فى قوله تعالى عن عباد الرحمن «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون» فإذا وجد الماجن المستهتر بالقيم المتبجح بالجريمة كانت العقوبة التى فرضها الدين القويم زجرا وتأديبا. والحدود نظام أرحم بكثير مما ينتظر أمة يشيع فيها الزنا والاغتصاب من مصير سحيق: معاناة فى الحياةوغضب من الله. وفى الحديث «لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الله الفواحش ماظهر منها وما بطن».

القذف: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم» إن ترك الألسنة تلقى التهم على المحصنات - وهنّ الحرائر العفيفات - دون دليل قاطع يترك المجال فسيحا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئا بتلك التهمة المنكرة ثم يمضى آمنا. فتصبح الجماعة وتمسى وإذا أعراضها وسمعتها ملوثة وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام وإذا كل زوج فيها شاك فى زوجه، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار. وهى حالة من الريبة والقلق لاتحتمل. لهذا وصيانة للأعراض من التهجم، وحماية لأصحابها من الآلام شدد القرآن الكريم فى عقوبة القذف فجعلها قريبا من عقوبة الزنا: ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق، والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام.

وتظل العقوبات التى توقع على القاذف وبعد إقامة الحد مصلتة فوق رأسه إلا أن يتوب: ذلك حكم القذف العام. ولكن استثنى منه أن يقذف الرجل امرأته فإن مطالبته أن يأتى بأربعة شهداء فيه إرهاق وبلاء، لذلك جعل لهذا النوع من القذف حكم خاص يعرف بالملاعنة.

وآيتنا الكريمة فيها حكم الله بجلد القاذف للمحصنة. فإذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضا. وليس فيه نزاع بين العلماء. فإذا أقام القاذف بينة على صحة ما قال درأ عنه الحد. ولهذا قال تعالى «ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم» الآية.

والتوبة الصادقةترفع الفسق ورد الشهادة. أما الجلد فقد مضى سواء تاب أو أصر.

من بيان السنة: روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هلال بن أمية رضى الله عنه قذف امرأته عند النبى ﷺ برجل وسماه. ومن رواية أحمد يقول جئت على أهلى عشاء فوجدت عندها رجلا، فرأيت بعينى وسمعت بأذنى. فكره ﷺ ما جاء به واشتد عليه وقال له: «البينة أو حدٌ فى ظهرك» فقال هلال والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله مايبرئ ظهرى من الحد. ويكرر ﷺ «البينة أو حد فى ظهرك» وتطلع الكثيرون من المؤمنين إلى كشف هذه الغمة عن شيخ أحسنوا الظن به. وعرفوا له حرمته. فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله الوحى. ولما سرى عنه قال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا. والذى نزل آيات الملاعنة بين الزوجين خاصة، أما غير الزوجين فالآية الأولى هى السياج والحصانة والبعد عن سوء الظن أو ترديد مقالات السوء والاتهام. فإن علق بنفس المؤمن شىء من ذلك ومن طائف الشيطان فلا ينبغى أن يتكلم به لينعم برحمة الله وعفوه، لما أخرج الشيخان أنه ﷺ قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها مالم تقل أو تعمل».

إن الكتاب الكريم قد عبر فى آيات كثيرة عن هداية الايمان «لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين. لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون» «ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم» ومن رواية البخارى أنه أتى برجل قد شرب وضرب الحد. ثم سمع ﷺ رجلا يقول: أخزاك الله. فنهاه ﷺ قائلا: لاتقل ذلك فتبعين عليه الشيطان.

اللهم نجنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونجنا من كل سوء واختم لنا بخاتمة الإيمان.

أحمد طه نصر